السيد بسام مرتضى

المسيح بين القرآن والأنجيل

قدم له

آية الله السيد

محمد حسين فضل الله

دار الحق
بيروت




مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

السيد بسام مرتضى

المسيح بين القرآن والأنجيل

قدم له

آية الله السيد

محمد حسين فضل الله



بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م



لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب محطة دياب - بناية المهنية اللبنانية.

ص.ب ٢٥/٢٤٠ الغبيري - تلفون: ٨٢٥٣١٦ فاكس: ٠٠١٢١٢٤٧٨١٨٢٧

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر دار الحق للطباعة والنشر والتوزيع أن تقدم للقارىء العزيز كتاباً جديداً من منشوراتها استعرض مؤلفه الكريم - وبروح موضوعية بعيداً عن الانفعال - مسألة مهمة هي السيد المسيح عليه السلام من خلال النص القرآني ونصوص الإنجيل بدراسة مقارنة حوارية قائمة على أساس دراسة النص بطريقة موضوعية علمية هادفة من أجل فهم السيد المسيح عليه السلام كما هو في وجوده المميّز.

في خصوصياته البشرية - كما يراها المسلمون - أو الإلهية - كما يراها المسيحيون - من أجل مزيد من وضوح الرؤية للصورة المنفتحة على العقيدة الإسلامية والمسيحية،

نأمل للمؤلف الكريم السيد بسام مرتضى مزيداً من نتاجه الثر لإغناء الفكر ورفد حركة الحوار بين الديانتين بما ينفع مع وجود مبادىء ومفاهيم مشتركة - برغم الاختلاف في مبادىء أساسية - تُوجدُ صيغاً مشتركة للتعايش الواعي ضمن الحقوق والقواسم المشتركة مع الحفاظ على الحرية والكرامة.

نأمل من القارىء مزيد الاستفادة آملين مواصلة رفده بما هو جديد ومن اللّه نستمد العون.

دار الحق
بيروت

كلمة العلامة الحجة
السيد محمد حسين فضل الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد.

الحوار الإسلامي ـ المسيحي عنوان كبير من عناوين الحركة الدينية في العالم يتداول الكثيرون في العناوين التفصيلية في المسألة اللاهوتية التي تحدد مفردات العقيدة في نقاط اللقاء والخلاف، وفي المسألة التبشيرية التي تحدد حركية هذا الدين أو ذاك في المجتمعات الوثنية أو في مجتمعات الإسلام في التبشير المسيحي، أو مجتمعات المسيحية في الدعوة الإسلامية، عندما يتحرك كل فريق ليدخل أتباع الفريق الآخر في دينه، وفي المسألة السياسية التي قد تتمثل في حقوق المسلمين تارة وفي حقوق المسيحيين تارة اخرى في المجتمعات المختلطة لتتحدد لكل منها مواقعه وامتيازاته وأوضاعه، كما قد تتمثل في العلاقات الإسلامية المسيحية في الواقع السياسي الدولي على مستوى العالم.

وفي ضوء ذلك لا بدّ لنا من التحرك على أكثر من موقع أو جهة للدخول في عمق المسائل الحيوية في الحوار من دون تشنّج أو تعقيد أو مجاملة، لأن ذلك يبتعد بنا عن الوصول إلى النتائج الحاسمة النافعة التي يراد منها تقريب المواقع وردم الهوة بين الفريقين.

* * *

وربما كان من الضروري ـ في هذا المجال ـ أن نعمل على تحديد نوعية الأشخاص الذين يعالجون المسائل المتنوعة فليس من الطبيعي أن تطرح العلاقات السياسية في المحيط الذي لا يعي عمق هذه المسألة، أو مع الأشخاص الذين لا يملكون ثقافتها وخبرتها وحركتيها وفاعليتها، وليس من المعقول أن تثار القضية اللاهوتية، أو الثقافية في المجتمعات، أو مع الأفراد التي لا تملك المعرفة بمفرداتها بطريقة علمية منفتحة، وهكذا في مسألة الدعوة والتبشير.

ولعل من مشاكل حركة الحوار أن الكثيرين ممن يحركونها ويديرونها لا يملكون الخبرة في إدارتها على مستوى النظرية والتطبيق.

* * *

وهناك نقطة مهمة في هذا المجال، وهي أنه ليس من الضروري أن يكون للمسيحي وحدة الحق في فهم النص

المسيحي الفكري أو الواقع الاجتماعي أو السياسي في المجتمع المسيحي، أو يكون للمسلم وحده الحق في الاجتهاد الإسلامي في الفقه وفي الكلام، أو في وعي التحرك الواقعي في المسائل السياسية والاجتماعية والفقهية المتصلة بالمسلمين فيمكن أن يتخصص المسيحي بالإسلاميات كما يمكن للمسلم أن يتخصص بالمسيحيات، إذا صح التعبير، ليكون لكل منهما اجتهاده في فهم الدين الآخر أو الجانب الآخر، لأن الدين - أي دين كان - لا يملك أسراراً باطنيةً داخليةً محترمةً لا يجوز للفريق الآخر أن يعرفها أو يطلع عليها لأن ذلك قد يكون وارداً في المذاهب الباطنية التي تختنق في داخل مجتمعها فلا تعمل للامتداد إلى مجتمع آخر أو في الدين الذي يعتبر الانتماء إليه امتيازاً محدوداً بجماعة معينة ذات مواصفات خاصة، من دون أن يكون هناك حق للآخرين للإنتماء إليه.

أما الدين الإسلامي الذي انطلق من خلال الوضوح في كتابه ورسالته في العقيدة والشريعة معاً، وانفتح على العالم كله من أجل أن يجعل العالم إسلاماً متحركاً على كل صعيد ولهذا كانت الدعوة جزءً من مسؤولية أتباعه المؤمنين به.

أما الدين المسيحي الذي جاء ليحمل البشارة بالمسيح للعالم كله ليكون العالم كله خاضعاً لكلمة المسيح وبرنامجه ومنهاجه حتى أصبح التبشير طابعه العملي المتحرك في الكون كله.

أما هذان الدينان فإنهما مفتوحان لكل الدراسات ولكل الدارسين ممّا يجعل من اجتهاد المسيحي في الإسلام أو المسلم في المسيحية أمراً معقولاً من الناحية الفكرية الاجتهادية.

وربما كان هذا الاتجاه في التداخل الثقافي في المسألة الإسلامية والمسيحية لدى المسلمين والمسيحيين، فرصة لتصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة التي يحملها هذا الفريق أو ذاك عن الآخر، لأن الدراسة المتخصصة المنطلقة من العمق الثقافي لن تترك مجالاً للأحكام الارتجالية السطحية أن تأخذ مكاناً في الوجدان الثقافي الديني في الحكم السريع على الآخر.

وهكذا يمكن للحوار أن يتحرك من موقع الثقافة التي يستطيع كل شخص إلزام صاحبه بالنصوص الدينية التي يلتزم بها، الأمر الذي قد يؤدّي إلى تقريب وجهات النظر وتضييق المساحة الفاصلة بين الطرفين.

* * *

وهذا الكتاب ـ المسيح بين القرآن والإنجيل ـ هو دراسة مقارنة حوارية قائمة على أساس دراسة النصوص بطريقة موضوعية علمية هادئة من أجل فهم حقيقة المسيح كما هو في وجوده المميّز في خصوصياته البشرية، كما يراه المسلمون، أو الإلهية، كما يراه المسيحيون، وذلك من خلال استقراء

الإنجيل والقرآن من أجل المزيد من وضوح الرؤية للصورة المنفتحة على العقيدة الإسلامية أو المسيحية.

أمّا كاتبه فهو فضيلة ولدنا وعزيزنا السيد بسام مرتضى، وهو من خيرة تلامذتنا في تحصيله العلمي، وسعة أفقه، ودقة ملاحظته وقد قرأت قسماً من كتابه، فرأيته كتاباً جامعاً نافعاً لا يسيء إلى موضوعيته ما قد تجده فيه من حرارة الحوار، لأن ذلك لا ينطلق من انفعال ذاتي بل من اقتضاء طبيعة الجو الحواري ذلك.

إننا ندعو إلى دراسته من موقع أنه تجربة علمية حوارية، فإذا كان فيه بعض ما قد يراه الآخرون مورداً للنقاش، فلينطلق النقاش حوارياً من دون تعقيد أو تشنّج أو انفعال.

وختاماً أرجو لعزيزنا المزيد من الإنتاج الجيد، والتقدم المطرد في خدمة الحقيقة في خط الرسالة، في حركة الإسلام الفكرية المنفتحة على كل الأديان والآراء.

والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل.

محمد حسين فضل الله

١٧/١٢/ ١٤١٤هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُم وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الحقَ * إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسى ابنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وكَلِمَتُه أَلْقَاهَا إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْه * فَآمِنُوا باللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرَاً لَكُم * إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى باللَّهِ وَكِيلاً﴾

النساء: الآية: ١٧١ـ

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

لم تكن ظاهرة «النُبُوّة» في حياة الأمم والشعوب، على مرّ التاريخ، إلاّ ظاهرة خير وصلاح، ذلك أنها كانت دائماً تدعو إلى الخروج من عبودية البشر بملوكها وحكّامها وطواغيتها، إلى عبودية الإله الواحد القهّار، على أساس أنّ هذه العبودية لله، تحمل في طيّاتها مفاهيم تحررية إنسانية وأخلاق اجتماعية عالية، تضمن للإنسان حياة الرفاهية والسعادة في الدنيا، والمصير السعيد في الآخرة. وهذا ما نلحظه في طبيعة الرسالات الحقّة التي أتى بها رُسُل الله إلى البشرية جمعاء، من خلال التعاليم والأحكام الإلهية الخيّرة التي نبذها بنو البشر وراء ظهورهم.

الأنبياء كلهم ساروا في خط اللّه وذابوا فيه بمحبتهم وطاعتهم له ودعوا وأنشدوا وصلّوا له:

«فَنَادُوا باسم الرب ـ وهِبُوا عظمةً لإلهنا ـ صَوَّرَ الكائنات وعَمَلُهُ كاملٌ ـ وكُلُّ طُرُقِهِ عدلٌ ـ اللّهُ أمِينٌ لا جَوْرَ عندَه ـ وهو الصادق المستقيم...».[1]

«أيّها السيّد الربُّ فبماذا أُكلمك وأنت كَرَّمتني وعرفتني ـ فمن أجل وعدك ومحبة قلبكَ جعلت لي هذا الأمر العظيم وأعلمتني به. فما أعظمك أيها الرب الإله. أنت لا مثيل لك ولا إله سواك كما سَمِعنا بآذاننا..». صلاة داود ـ أخبار الأيام الأول ١٧ و١٨: ١٨ـ ٢٠.

«... أيها الرب إلَه إسرائيل لا إله مثلك في السماء ولا على الأرض، حافظ العهد وصانع الرحمة لعبيدك الذين يخدمونك بكل قلوبهم... التفت إلى صلاتي وتضرُّعي. أنا عبدك أيها الربُّ إلهي، واسمع الدعاء والصلاة التي أرفعها إليك اليوم...» صلاة سليمان ـ أخبار الأيام الثاني ٦: ١٤ـ ١٩ـ

«... أيها الإله العظيم الجبَّار الذي الربّ القدير اسمه. عظيم أنت في المشورة وقدير في العمل، وعيناك مفتوحتان على طرق بني آدم لتجازي كلّ واحدٍ بحسب طُرُقِهِ وثمار

(١) نشيد موسى (ع) ـ التثنية ٣٣ـ ٣٢: ٣ـ ٤ـ

أعماله...» إرميا ٣٢: ١٨ـ ٢٠ـ

«فصلّى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت وقال: «إليك يا رب صرخت فاستجبت لي في ضيقي ـ من جوف الحوت أستغيث فسمعت يا ربُّ صوتي... أتذكرك أيها الربُّ فتصل إليك صلاتي ـ في هيكلك المقدس يراعون آلهة السوء ويهملون رحمتك عليهم ـ وأنا بصوت الحمد اقرّب لك الذبائح واوفي بما نذرته لك ـ فمنك يا ربُّ خلاصي». فأمر الربّ الحوت، فقذف «يونان. إلى البر». يونان ١ و٢ و٣: ٢ـ ٧ـ ٨ـ ٩ـ ١٠ـ

وغيرهم من الأنبياء الذين ذكرهم الكتاب المقدّس والذي كان آخرهم ـ حسب المعتقد المسيحي ـ يسوع المسيح. هذا رغم ما نجده أيضاً من جوانب اخرى غير لائقة بحقّهم، الأمر الذي يناقض ذلك الانصياع والطاعة الكاملة لرب العالمين، إلاّ أنّ ذلك الجانب الإيجابي السائر في خط اللّه من خلال تعابير العبودية والدعاء، والمحتمل قوياً صدوره من أنبياء العصر القديم، كافٍ في تأييده بما ورد في القرآن الكريم عن حال وصف بعض الأنبياء القدامى في عبوديّتهم وطاعتهم للّه تعالى:

- إسماعيل وإدريس وذا الكفل عليهم السلام:

﴿وإِسْمَاعِيلَ وإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِيْنَ، وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِيْ رَحْمَتِنَا، إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

- موسى (ع):

﴿ورُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لم نَقْصُصْهم عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾.

- يونس (ع):

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ، فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

- نوح (ع):

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدَاً شَكُوراً﴾.

- داود وسليمان (عليهما السلام):

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالاَ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي فَضَّلَنَا على كثيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

- لوط (ع):

﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ القَرْيَةِ التي كانَتْ تَعْمَلُ الخَبَائِثَ إِنَّهم كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ـ زكريا ويحيى وعيسى وإلياس (عليهم السلام):

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ، كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

إبراهيم (ع):

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

وغيرهم من الأنبياء الصالحين الذين قَصَّ علينا ربُّ العالمين قصصهم وغيرهم ممَّن لم يَقْصُص.

فهناك نقاط التقاء ودورٌ واحد لجميع الأنبياء والرسل لأنهم مرسلون من عند ربّ واحد ولهدفٍ واحد، ولكن أيّ دينٍ بقي وسَلِمَ من الضياع والتحريف؟ وبعبارة اخرى أيّ دينٍ يجب اتّباعه؟.

إنَّ أكبر وأبرز ديانتين سماويتين في العالم هما الإسلام والمسيحية، وهما يحملان مبادىء ومفاهيم مشتركة ويختلفان في مبادىء أساسية اخرى، ومع ذلك فإن الإسلام يحترمها ويحترم جميع الأديان السماوية كأهل الكتاب، ويقبلهم في مجتمعه على هذا الأساس. ولعلَّ المسيحية أقرب من غيرها إلى الإسلام، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ

والَّذِيْنَ أَشْرَكُوا، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِيْنَ آمَنُوا الَّذين قَالُوا انَّا نَصَارَى، ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِسِّيسِيْنَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُوْنَ﴾.

لذلك فإنَّ اختلاف الديانتين لا يمنع من إيجاد صيغة مشتركة تضمن تعايش الطائفتين تعايشاً سلمياً ضمن الحقوق والقواسم المشتركة مع الحفاظ على الحريات والكرامات. أما ما يعكسه هذا الكتاب من طروحات وأفكار فهو لا يتعلق بذلك الجانب السياسي والاجتماعي من الطرح، بل يحقق بالمبادىء والأسس التي تقوم عليها المسيحية كعقيدة، معالجةً ومناقشةً بعيدة عن التعصب والحقد الأعمى.

ومن الله نستمد التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بسام مرتضى

في ١٩ ـ ذي الحجة ـ ١٤١٤هـ
١٩٩٤/٥/٣٠


الموقف
المسلم - المسيحي

لقد بات من الواضح عند أي مسلم أنَّ الإنسان المسيحي يقف موقف الرفض من الدين الإسلامي. فهو يتربى على الاعتقاد والإيمان بأنَّ دينه هو الدين الصحيح فقط، وفي الوقت الذي يعتبر نفسه مدافعاً عن الدين المسيحي، فإنه لا يكتفي بمجرد الدفاع عنه، بل يلجأ إلى الطعن والتشكيك بنبوة النبي «محمد» صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ورسالته.

التباشير المسيحية من خلال مدارسها ومؤسساتها خير دليل على الموقف من الدين الإسلامي. «محمّد» صلّى اللّه عليه وآله وسلّم شخصية ألّفت القرآن وليس نبيّاً مرسلاً من عند اللّه. «محمّد» عاشق للنساء لأنه تزوج من عدة زوجات، «محمّد» مؤذٍ للطفولة لأنه تزوج من عائشة في سنٍ مبكر، وهلمَّ جرًّا من ادعاءات باطلة مضلِّلة. المهم أنَّ على التبشير المسيحي ألاّ يقف مهما بلغت حملته الافترائية حدّاً من الأضاليل والأكاذيب.

المسلم من ناحية اخرى من خلال إيمانه ومعتقده يؤمن بأن المسيحية دين سماوي بشرّ بها السيّد المسيح عليه السلام، كما يؤمن بسائر الديانات السماوية الاخرى التي بشرّ بها الأنبياء والرُسُل السابقون، إلا أنه لا يحمل نفسية التعصب والتحيّز لدين صحيح على دين، ولا لنبيّ دون نبي، لأنَّ كله من عند اللّه.

أما التزامه بالإسلام دون أية ديانة اخرى، فلاعتقاده بأن الإسلام هو الدين الصحيح الوحيد الذي سَلِمَ من التحريف والتزوير.

فالأنبياء في «العهد القديم» يعصون اللّه ويشربون الخمر ويزنون، والمسيح في «العهد الجديد» «إبن اللّه» و«إله» وصُلب، وهذا مما لا يعترف به الإسلام، بل يرفضه أشدَّ الرفض، ويُنزِّه جميع الأنبياء عن النقص والسوء وارتكاب المنكر، كما يُنزِّه السيّد المسيح عليه السلام عن الصّلب وادّعاء البُنُوَّة والشركة والألوهية ونحو ذلك مما لا يليق بحاله عليه السلام.

فللمسلم دعوة وموقف يتمثلان في الآيتين الكريمتين:

١ـ ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُم وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُم وَاحِدٌ وَنَحنُ لَهُ مُسْلِمُون﴾.

٢ـ ﴿قُوْلُوا آمنَّا باللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وإِسْحَاقَ ويعقوبَ والأَسْبَاطِ وَمَا اوْتيَ موسى وعيسى وَمَا أُوتيَ النبيّونَ مِنْ ربِّهم لا نفرّق بين أحدٍ منهم وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ﴾.

فالآية الأولى: تدعو إلى الإيمان باللّه الواحد وما انزل إلى أهل الكتاب والمسلمين ومجادلتهم بالتي هي أحسن.

والثانية: تدعو إلى الإيمان باللّه وجميع كُتُبه ورسله من دون أي تفريق أو تمييز بينهم.

النتيجة: إن موقف الإنسان المسلم إيجابي وموقف الإنسان المسيحي سلبي.

الإيجابية تتمثل بنفس الحب والاحترام والتقدير لجميع أنبياء اللّه وكتبه ورسله وعدم إنكار أيٍّ منهم والتهجم عليهم والسلبية تتمثل بنفس الكراهية وعدم الاحترام والتقدير لهم ولو لبعضهم.

وإذا كنا لا نوافق المسيحية على معتَقَدِها فإنه ليس لأجل أنها مسيحية يسوع ودينه بل لأجل الوضع والتحريف الذي طرأ عليها، وإلا فنحن نحبه ونحترمه ونؤمن به كما نحب ونحترم ونؤمن بجميع أنبياء اللّه ورسله عليهم السلام.

الكتاب المقدَّس الجديد

صدر عن جمعية الكتاب المقدس في لبنان نسخة جديدة من الكتاب المقدَّس لعام ١٩٩٣. تقول المقدِّمة ان لجنة مختصة مؤلفة من علماء لاهوتيين تنتمي إلى مختلف الطوائف المسيحية، قامت بترجمة عربية جديدة لهذا الكتاب ونقَّحت العهد الجديد فيه. ولكن هل هو تنقيحٌ فعلاً بحيث صِيغت العبارة بطريقة واضحة جيدة أم أنه تبديل في بعض العبارات بحيث تتناسب وذوق المترجمين وتكون لائقة بصدورها عن السيد المسيح عليه السلام؟

في نسخة ١٩٧٨ نقرا النص التالي:

«أمّا أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرّ بل من لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخَّرك أن تمشي معه

ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين». متى ٥: ٣٩ــ ٤١ــ

وهذا يختلف مع نصّ نسخة ١٩٩٣ الجديدة بعبارة «لا تقاوموا من لا يُسيء إليكم». «ومن أراد أن يخاصمك ليأخذ ثوبك». وفرق واضح بين الاثنين.

«أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا من يُسيء إليكم، من لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر. ومن أراد أن يخاصمك ليأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضاً ومن سخرّك أن تمشيَ معه ميلاً واحداً فامشِ معه ميلين». متى ٥: ٣٩ــ ٤١ــ

وبالمقارنة مع نصّ إنجيل اللغة الإنكليزية نجد أنه يتطابق مع نصّ نسخة ١٩٧٨ لا الجديدة:

«But I say unto you, that ye resist not **evil**, but whosoever shall smite thee on thy right cheek, turn to him the other also. And if any man will sue thee at the law and take away thy coat, let him thy cloke also. and whosoever shall compel thee to go a mile, go with him twain». Matthew 5: 39-41.

فإن كلمة «evil» واضحة في معنى الشرّ لا الإساءة التي تعنيها كلمة «hurtness». إضافة إلى أن التعبير بالمقاومة أنسب للشر أو الشيطان منه إلى المسيء، لأن المسيء قد صدرت منه الإساءة فما الذي يُقاوم فيه بعد، فهو إما أن يُعفى عنه أو يعاقب. أما الشر فهو مطلق وهو الذي تجدر مقاومته.

نصّ آخر في نسخة ١٩٧٨ يقول:

«فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أُعطي لهم. لأنه يوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيانٌ خصوا أنفسهم لأجل ملكوت اللّه». متى ١٩: ١١ـ ١٢ـ

أما نصّ نسخة ١٩٩٣ ففيه زيادة وتبديل في «الخصي» واضح.

«فأجابهم يسوع: لا يقبل هذا الكلام إلا الذين اعطي لهم أن يقبلوه. ففي الناس من ولدتهم أمهاتهم عاجزين عن الزواج. وفيهم من جعلهم الناس هكذا وفيهم من لا يتزوجون من أجل ملكوت السماوات» متى ١٩: ١١ـ ١٢ـ

وفي نصّ إنجيل اللغة الإنكليزية «الخصي» واضح:

«... Make themselves eunuchs for the kingdom of heaven's sake». Matthew 19: -12-

وفي نصّ آخر لنسخة ١٩٧٨ من رسالة بولس الرسول إلى اهل كورنثوس عن المراة:

«لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل، ولأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل لهذا ينبغي أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة».

كورنثوس الأولى ١١: ٨ـ ١٠ـ

وفي نسخة ١٩٩٣ الجديدة: «يجب على المرأة أن تغطي رأسها علامة الخضوع من أجل الملائكة»[1].

«فما الرجل من المرأة، بل المرأة من الرجل، وما خلق اللّه الرجل من أجل المرأة بل خلق المرأة من أجل الرجل لذلك يجب على المرأة أن تغطي رأسها علامة الخضوع من أجل الملائكة». كورنثوس الأولى ١١: ٨ـ ١٠ـ

أما نصّ الإنكليزية فهو مطابق لنص نسخة ١٩٧٨:

«For the man is not of the woman, but the woman of the man. Neither was the man created for the woman, but the woman for the man. For this cause ought the woman to have power on her head because of the ongels».

(I corinthians 11: 8-10).

وفرق بين كلمة «power» التي تعني السلطان أو السلطة من بين معانيها، وكلمة «cover» التي معناها «غطاء» أو يغطي وكلمة«sign» التي تعني «العلامة».

---

(١) وتفسيره حسب تفسير الكتاب المقدّس، أن غطاء رأسها «من أجل الملائكة الذين يحافظون على نظام إرادة اللّه. أو نحن أمام قوى ملائكية تحتمي منها المرأة». كورنثوس الأولى الأولى ١١: ٨ـ ١٠ أسفل الصفحة. وهل يُعقل هذا الكلام؟ وهل يعني سوى كون المرأة مخلوقاً غريباً؟ (المؤلف).

وفي نصّ نسخة ١٩٧٨ عن شرط اتباع يسوع:

«إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً». لوقا ١٤: ـ ٢٦ـ

والتبديل الواضح المناسب لتعاليم يسوع في نسخة ١٩٩٣:

«من جاء إليَّ **وما أحبني أكثر** من حبه لأبيه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته بل أكثر من حبه لنفسه لا يقدر أن يكون تلميذاً لي». لوقا ١٤: ـ ٢٦ـ

أما نصّ نسخة ١٩٧٨ فهو مطابق لنصّ الإنجيل باللغة الإنكليزية أيضاً:

«If a man come to me, and **hate not** his father and his mother, and wife, and children, and bretheren, and sisters, yea, and his own life also, he cannot be my disciples». (Luke 14: -26-).

فكلمة «hate» التي تعني «يكره» أو يبغض غير معنى «loved me not mor than..» وهو واضح الفرق.

وهناك كثير من العبارات المصحَّحة والمصاغة بأسلوب وعبارة جديدة اكتفينا بعرض نماذج منها، لأنه يستلزم عرض الكتاب المقدّس بأكمله.

والله العالم إذا كان سيأتي كتاب مقدّسٌ جديد بعد،

وهل يمكن لكتاب اللّه أن يُصَحَّح ويُنقَّح ويصاغ من جديد؟ وهل يعود هناك من وثوق فيه؟

﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.



الفصل الأول



السيّد المسيح

عليه السّلام

ولادة السيّد المسيح عليه السّلام

يذكر إنجيل «متى» ولادة السيّد المسيح على الشكل التالي:

«أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا. لما كانت مريم امُه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وُجِدت حبلى من الروح القُدُس. فيوسُفُ رَجُلُها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سِراً.

ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حُلم قائلاً يا يوسف ابن داودَ لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأنّ الذي حُبِلَ به فيها هو من الروح القدس. فستلد إبناً وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم»[1].

أما إنجيل «مَرْقُس»: فلم يذكر شيئاً عن الولادة ولا الخطبة ليوسف، واكتفى بذكر التعميد من يوحنا والخروج بعده

---

(١) متى ١و٢: ١٨ ــ ٢١ ــ

للدعوة. «كما هو مكتوب في الأنبياء، ها أنا أُرسل أمام وَجْهِكَ ملاكي الذي يهيء طريقَكَ قُدَّامَكَ. صوتٌ صارخ في البرية أَعدّوا طريق الرَّب اصنعوا سُبُلَهُ مستقيمة. كان يوحنَّا يُعمّد في البرية ويَكْرِزُ بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا»[1].

«وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن، وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السمواتِ قد انشقت والروح مثل حمامةٍ نازلاً عليه، وكان صوتٌ من السموات: أنت ابني الحبيب الذي به سررت، وللوقت أخرجه الروح إلى البرية أربعين يوماً يجرّب من الشيطان، وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه، وبعدما أُسْلِمَ يوحنَّا جاء يسوع إلى الجليل يَكْرِزُ ببشارة ملكوت الله. ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوتُ اللّه، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل».

وفي إنجيل لوقا:

«وفي الشهر السادس ارسل جَبْرَائيل الملاك من اللّه إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك وقال سلام لكِ أيتها المنعمُ عليها. الربُّ معكِ، مباركة أنتِ في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكّرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك لا تخافِ يا مريم

---

(١) مرقس ١: ٢ ـ ٤ ـ ٩ ـ ١٥ ـ

لأنكِ قد وجَدْتِ نعمةً عند اللّه. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع».

«فقالت مريم للملاكِ كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاكُ وقال لها: الروح القُدُسُ يحلّ عليكِ وقوة العليّ تظلّلكِ فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يدعى ابن اللّه»[1].

أما إنجيل يوحنا فلم يذكر شيئاً عن ولادة يسوع ودخل مباشرة في مسألة تجسد اللّه واتحاده به.

«في البَدْءِ كان الكلمةُ والكلمةُ كان عند اللّه وكان الكلمة اللّه». إلى أن يقول: «والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءً نعمةً وحقّاً»[2].

وهنا لنا ملاحظتان:

الأولى: إنَّ كون يسوع ابن اللّه لم يُذكر من البداية سوى في إنجيل «لوقا».

والملاحظة الثانية: إنَّ يوحنّا دخل مباشرة في مسألة التجسيد التي يؤمن بها، مع أنه لم تتعرض لها الأناجيل الاخرى بهذا الشكل من التوضيح والحلول.

---

(١) لوقا ١: ٢٦ ــ ٣١ ــ ٣٤ ــ ٣٥ ــ
(٢) يوحنا ١: ١ ــ ١٤ ــ

وكلا الملاحظتين تدلان على أنَّ كلَّ كاتبٍ من كُتَّاب الأناجيل كتب الفكرة التي كان يعتقدها هو من بادىء الأمر، فمن أراد عَرْض بُنُوَّة المسيح عرضها من حين الولادة، كما في إنجيل «لوقا» ومَنْ أراد عرض فكرة التجسيد التي دخلت على المسيحية عرضها من بادىء الأمر دون ذكر الولادة كما في إنجيل «يوحنا» ومَنْ لم يُرد عرض أية فكرة أولية عن هذه المسألة اكتفى بذكر كيفية الولادة كما في إنجيل «متى».

أما «مرقس» فَعَرَض البُنُوَّة مُباشرة ولم تهمه مسألة الولادة. «أنت ابني الحبيب الذي به سررت». وهذا يدلنا أيضاً على أنه ليس هناك تواتر في نفس الفكرة الواحدة الأولية، فواحدة تتحدث عن البُنُوّة واخرى عن التجسيد واخرى عن الولادة.

ولا نريد الخوض في هذه المسائل الآن البُنُوَّة الإلهية والتجسيد، ولكن نشير إلى أنَّ هناك توافقاً في الفكرة من ناحية عدم ولادة السيد المسيح من بشر، مع القرآن الكريم.

﴿إذْ قَالَتِ الملائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمةٍ مِنه أسمُهُ المَسِيحُ عيسَى ابنُ مَرْيَمَ وَجيْهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبِين وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِيْ المَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِين. قَالَتْ رَبِّ أنّى يَكُونُ لِيْ وَلَدٌ وَلَم يَمْسَسْنِي بَشَرٌ، قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء، إِذَا قَضَى أمْراً فَإنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾.

والمقصود من الملائكة جبرائيل عليه السلام حيث عَبّر

بالجمع عن الواحد تعظيماً لأمره كما قيل في تفسيره ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيًّاً قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيّاً﴾.

كما قيل في تفسير «الكلمة»[1] بكلمة «منه» أن المراد منها «عيسى» عليه السلام. أي «إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بعيسى منه اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» واختصاصه بهذا التعبير عنه «بالكلمة» باعتبار ولادته التي حدثت من غير السبب الطبيعي لها وهو النكاح، فكان هو نفس الكلمة التي يقولها ربّ العالمين للأشياء بقوله ﴿كن فيكون﴾. ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. وهكذا كان آدم وعيسى عليهما السلام مِصداقان لكلمة «كن» التكوينية غير الطبيعية. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

والمهم في موضوعنا أن مريم عليها السلام حبلت بواسطة الروح القدس بعد أن نزل عليها وحاورته وكان أمراً مقضياً.

الأمر الذي اتفق القرآن وإنجيل «لوقا» في روايته من هذه الجهة.

---

(١) هذا هو الأنسب، وقيل في تفسيرها غير ذلك، راجع الميزان في تفسير القرآن ج ـ ٣ ص ـ ١٩٣ ـ

﴿... فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ـ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تقياً[١] قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾.

«فدخل إليها الملاك وقال سلامٌ لكِ أيتها المُنعَمُ عليها. الربُّ معكِ. مباركة أنتِ في النّساء. فلمّا رأته اضطربت من كلامه وفكّرت ما عسى أن تكون هذه التحيّة، فقال لها الملاك لا تخافِ يا مريم لأنكِ قد وَجَدْتِ نعمةً عند اللّه. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً تسمينه يسوع».

«فقالت مريم للملاكِ: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحلّ عليكِ وقوة العلي تُظلّلكِ...».

أ ـــ سيرة المسيح عليه السلام في القرآن:

حمَلت مريم عليها السلام بالمسيح حملاً طبيعياً كسائر النساء إلى أن وضعته. ولماّ رآها قومها على هذه الحال وَوَضْعِها من غير زوج استنكروا عليها ذلك واتهموها بالفاحشة وعاتبوها بسيرة والديها الصالحة وكان ردُّها بالإشارة إليه فقط لأنها كانت قد نذرت لربها صوماً عن الكلام بألا تكلم

(١) تقياً: يتّقيه الناس أي يخافونه.

أحداً من البشر إذا رأوها بهذه الحالة، وذلك بأمر من الله تعالى. ﴿فإمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَر أحَدَاً فَقُولِي إنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إنْسِيّاً﴾. وحين أتت قومها تحمله ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئَاً فَرِيّاً * يا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أبُوكِ امرأ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً * فَأَشَارَتْ إلَيْه﴾ وهنا كانت المعجزة بنطقه عليه السلام وهو لا يزال صغيراً في المهد يستحيل عليه النطق ليُبرأ أُمّهُ وليكون معجزة ومبشراً ورسولاً لبني إسرائيل. ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِيْ المَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكَاً أيْنَمَا كُنْتُ وَأوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلنِي جَبّاراً شَقِيّاً * والسَّلامُ عَلَيَّ يَومَ وُلِدْتُّ وَيَوْمَ أمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾.

ثم نشأ عليه السلام كسائر البشر هو وامُّه عليها السلام لكن تحت ظلّ الرعاية الإلهية والوحي والتأييد بروح القدس. ﴿ ...وآتَيْنَا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ...﴾.

وبعد عملية التعليم الروحي والإعداد الرباني للرسالة ﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَالتَوْرَاةَ وَالانْجِيلَ﴾ بُعث عيسى المسيح إلى بني إسرائيل ﴿وَرَسُولاً إلَى بَنِيْ اسْرَائِيلَ...﴾ داعياً لهم إلى دين التوحيد مظهراً لهم المعجزات قائلاً لهم:

﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيْهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ * وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وأُحْيي المَوتى بِإِذْنِ اللَّهِ * وأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلونَ وَمَا تدَّخِرُونَ فِيْ بُيُوتِكُم إِنَّ فِيْ ذَلِكَ لآيَةً لَكُم إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ﴾. مع التصديق والإيمان بالتوراة التي جاء بها قبله موسى عليه السلام مُحلاً لهم بعض الذي كان قد حُرِّم عليهم فيها. ﴿وَمُصَدِّقاً لما بين يَدَيَّ مِنَ التَوْرَاةِ والإِنْجِيْل وَلِأُحِلَّ لَكم بَعْضَ الَّذِيْ حُرِّمَ عَلَيْكُم * وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُم فاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيْعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُم فَاعْبُدُوهُ * هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾. ورغم المعجزات التي أظهرها لهم لم يؤمنوا به وبرسالته وقوبل بالتعنت والكفر من قِبل الشيوخ والكهنة وبعض الناس، فلجأ حينئذٍ إلى اختيار نخبة من التلامذة سُمُّوا بالحواريين.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيْسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ، قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

ولم يمض وقت طويل حتى أراد اليهود بزعمائهم ورؤساء كهنتهم قَتْلَه، ولكن لم يكن لهم ما أرادوا، لأنهم مكروا ومكر اللَّه، فتوفّاه ورفعه إليه بعد أن شُبِّه لهم بشخص آخر خائن مكيد يكون فتنة لهم. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِيْنِ اتَّبعُوكَ فَوْقَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ...﴾. ثم

وقع الخلاف بين التلامذة بين مشكك بالموت والصلب، وبين قائل به، وبين ناكر له. ﴿وَقَوْلِهِم إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وما قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُم * وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍ مِنْه مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْم إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنّ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّه عَزِيزاً حَكِيماً﴾.

ب ـ سيرة المسيح عليه السلام في الإنجيل:

تتفق الأناجيل الأربعة على أنَّ المسيح عليه السلام من روح اللّه ولد من مريم المباركة عليها السلام، وأنَّه اعتمد من يوحنّا المعمدان الذي كان يُعمّد الناس لغفران الخطايا في نهر الأردن، وبعد ذلك انطلق للدعوة إلى اللّه وتبليغ رسالته.

«ورجع يسوع بقوّة الروح إلى الجليل وخرج خَبَرٌ عنه في جميع الكورة المحيطة، وكان يُعلّمُ في مجامعهم مُمَجَّداً من الجميع، وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى، ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ»[1].

«وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلّم في مجامعها ويَكْرِزُ ببشارة الملكوت ويشفي كلّ مرضٍ وكلّ ضُعفٍ في الشعب»[2].

---

(١) لوقا ٤: ١٤ ــ ١٦ ــ

(٢) متى ٤و٥: ــ ٢٣ ــ

«وبعد ما أُسْلِمَ يوحنّا جاء يسوع إلى الجليل يكْرِزُ ببشارة ملكوتِ اللّه، ويقول قد كَمَلَ الزمان واقترب ملكوتُ اللّه. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»[١].

ثم أخذ يُظهر المعجزات للناس كي يصدّقوه ويؤمنوا برسالته، وَتَذْكُر الأناجيل جملة منها.

«فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميّتٌ محمولٌ ابن وحيدٌ لأمّهِ وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة. فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكِ، ثمَّ تقدّم ولمس النعش فوقف الحاملون، فقال أيها الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى امّه، فأخذ الجميع خوف ومجّدوا اللّه قائلين قد قام فينا نبي عظيم»[٢]، فأحيا الميت وأبرأ الأصمَّ والأخرس.

«ثم خرج أيضاً من تخوم صور وصيداء وجاء إلى بحر الجليل في وسط حدود المدن العشر، وجاءوا إليه بأصمَّ أعقَدَ وطلبوا إليه أن يضع يده عليه فأخذه من بين الجمع على ناحية ووضع أصابعه في اذنيه وتَفَل ولمس لسانه ورفع نظره نحو السماء وأَنَّ وقال له إفَّثا، أي انفتح، وللوقتِ انفتحت اذناه وانحلَّ رباط لسانه وتكلّم مستقيماً»[٣]، وأبرأ الأعمى والأبرص.

---

(١) مرقس ١: ــ ١٤ ــ
(٢) لوقا ٧: ١٢ ــ ١٦ ــ
(٣) مرقس ٧و٨: ٣١ ــ ٣٧ ــ

«وجاء إلى بيتِ صيدا، فقدّموا إليه أعمى وطلبوا إليه أن يلمسه، فأخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية وتَفَل في عينيه ووضع يديه عليه وسأله هل أبْصَرَ شيئاً، فتطلع وقال ابصر الناس كأشجارٍ يمشون، ثمّ وضع يديه أيضاً على عينيه وجعله يتطلع فعاد صحيحاً وأبْصَرَ كلّ إنسانٍ جلياً»[1].

«وكان في إحدى المدن فإذا رجل مملوء بَرَصاً. فلما رأى يسوع خرّ على وجهه وطلب إليه قائلاً يا سيّد إن أردت تقدر أن تطهرني، فمدَّ يده ولمسه قائلاً اريد فاطهر وللوقت ذهب عنه البرص»[2].

وهذه المعجزات ورد ذكرها في القرآن الكريم كما أشرنا إليها في سيرته عليه السلام من خلال الآيات الكريمة التي استعرضناها عن حياته.

إضافة إلى ذلك فقد قوبل بالإنكار والرفض من بني إسرائيل فقد كفر به معظمهم ـ كما في القرآن الكريم ـ فحاولوا الإيقاع به والتخلص منه كعادتهم في قتلهم للأنبياء أو طردهم.

«يا اورشليمُ يا اورشليمُ يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرةٍ أردت أن أجمع أولادكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا». متى ٢٣ و٢٤: ـ ٣٧ـ

(١) مرقس ٨: ٢٢ ـ ٢٣ ـ
(٢) لوقا: ١٢ ـ ١٣ ـ

«ثمَّ أرسلوا إليه قوماً من الفريسيين والهيرودسيين لكي يصطادوه بكلمة». مرقس ١١ و١٢: ــ ١٢ـ «وكان الفَرِّيسيُّون أيضا يسمعون هذا كله وهم محبّون للمال فاستهزأوا به، فقال لهم أنتم الذين تبررون أنفسكم قُدّام الناسِ. ولكنَّ اللّه يعرف قلوبكم، إن المستعلي عند الناس هو رجسٌ قُدَّام اللّه». لوقا ١٦: ــ ١٤ـ «ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم» يوحنا ١٠: ــ ٢٦ـ

لذلك عمدوا إلى رسم خطة للنيل منه، وكان يهوذا الإسخريوطي أحد تلامذته هو الوسيلة لذلك، فذهب إلى رؤساء الكهنة وعرض عليهم تسليمه إياهم ففرحوا ووعدوه بإعطائه فضة.

«ثم إنَّ يهوذا الإسخريوطي واحداً من الإثني عشر مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلمه إليهم، ولما سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة، وكان يطلب كيف يسلّمُهُ في فرصة موافقة»[١].

وعبارات الأناجيل متواترة في أنه عليه السلام كان يعلم أن أحدهم سيسلمه، ففي إحدى الأمسيات مع تلامذته «لما كان المساء جاء مع الإثني عشر، وفيما هم متكئون يأكلون، قال يسوع: الحقَّ أقول لكم إنَّ واحداً منك يُسلّمني، الآكلُ معي، فابتدأوا يحزنون ويقولون له واحداً فواحداً هل أنا، وآخر

(١) مرقس ١٣و١٤: ١٠ ــ ١١ ــ

هل أنا، فأجاب وقال لهم هو واحد من الإثني عشر الذي يغمس في الصَّحْفَةِ»[١].

«ولكن هُوَذَا الذي يسلمني هو معي على المائدة. وابن الإنسان ماضٍ كما هو محتوم، ولكن ويلٌ لذلك الإنسان الذي يُسلّمه»[٢].

وفيما هو يتكلم بين الجموع بعظهم «أقبل يهوذا واحدٌ من الإثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعِصي من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ وكان مُسَلِّمُهُ قد أعطاهم علامة قائلاً الذي اقبله هو هو أمسكوه وامضوا به بحرص، فجاء للوقت وتقدّم إليه قائلاً يا سيدي يا سيدي وقَبّلَهُ. فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه»[٣].

«ثم إنَّ الجُندَّ والقائد وخُدَّام اليهود قبضوا على يسوعُ وأوثقوه»[٤] ومضوا به عند الصباح إلى الوالي البُنْطِيِّ بيلاطُسَ للمحاكمة، «فوقف يسوع أمام الوالي فسأله الوالي قائلاً أنت ملكِ اليهود فقال له يسوع أنت تقول، وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يُجب بشيء»، فقال له بيلاطُسَ أما تسمع كم يشهدون عليك، فلم يُجبه ولا عن كلمة

---

(١) مرقس ١٤: ١٧ ــ ٢١ ــ
(٢) لوقا ٢٢: ١٤ ــ ٢٢ ــ
(٣) مرقس ١٤و١٥: ٤٣ ــ ٤٦ ــ
(٤) يوحنا ١٧و١٨: ــ ١٢ ــ

واحدة حتى تعجّب الوالي جداً»[1]. فعلم الوالي أنهم أسلموه حسداً، فترك أمره إليهم بعد أن لم يجد فيه علّة لقتله، فطلبوا منه صلبه بعد أن عرض عليهم إطلاق سراحه، والتهمة التي أرادوا صلبه لأجلها هي دعواه أنه ابن اللّه. «قال لهم بيلاطس خذوه أنتم واصلبوه لأني لست أجد فيه علّة. أجابه اليهود لنا ناموسٌ وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابنَ اللّه». يوحنا ١٨ و١٩: ٦ـ ٧.

وفي إنجيل متى: «فأجاب رئيس الكهنة وقال له أستحلفك باللّه الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن اللّه، قال له يسوع أنت قلت، وأيضاً أقول لكم. من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء، فمزق رئيس الكهنة حينئذٍ ثيابه قائلاً قد جدَّف، ما حاجتنا بعد إلى شهود، ها قد سمعتم تجديفه، ماذا ترون، فأجابوا وقالوا له إنه مستوجب الموت». متى ٢٦ و٢٧: ٦٢ـ ٦٧ـ

وهكذا أخذوه إلى الصلب بعد أن خيّرهم بيلاطُس بإطلاق سراحه مصرّين على صلبه صارخين اصلبه اصلبه.

وكان المجتازون يقولون له: « ..خلّص نفسك... إن كنت ابن اللّه فأنزل عن الصليب» متى ٢٧: ٣٩ـ ٤٠ـ

وآخرون من الشعب يقولون «خلَّصَ آخرين فليخلّص

---

(١) متى ٣٧: ١١ ـ ١٤ ـ

نفسه إن كان هو المسيح مختار اللّه.» لوقا ٢٣: ـ ٣٥ـ

وبعد أن أسلم الروح ودُفن خرج من القبر بعد ثلاثة أيام، وظهر أمام الأحد عشر تلميذاً.

«ولمّا رأوه سجدوا له ولكنّ بعضهم شكوا». متى ٢٨: ـ ١٧ـ

وفي إنجيل مَرقُسَ: كلهم شكّوا به «أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يُصدّقوا الذين نظروه قد قام». مرقس ١٦: ـ ١٤ـ

وفي إنجيل لوقا: «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلامٌ لكم، فجزعوا وخافوا وظنُّوا أنهم نظروا روحاً، فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم، انظروا يدَيَّ ورِجلَيَّ أنا هو، جُسُّوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه». لوقا ٢٤: ٣٦ـ ٤٠ـ

ثم أخذ وأكل أمامهم مما عندهم من طعام.

وفي إنجيل يوحنّا: «تُومَا» أحدُ الإثني عشر لم يصدّق حين أخبروه أنه قد ظهر عليهم وهم مجتمعون مُغْلقين على أنفسهم الأبواب خوفاً من اليهود، حتى لم يرَ في يدي يسوع أثر المسامير، إذ لم يكن موجوداً معهم حين ظهر بينهم أول مرّة «فقال لهم إن لم ابصر في يديه أثر المسامير وأضع اصبعي في

أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أُومن» . ثم ظهر بعد ثمانية أيام بينهم وكان «توما» معهم «وقال «لتُومَا» هاتِ إصبعَك إلى هنا وابْصِر يديَّ وهاتِ يدكَ وضَعْها في جنبي ولا تكن غير مؤمنٍ بل مؤمناً، أجاب «تُومَا» وقال له ربي وإلهي، قال له يسوع لأنك رأيتني يا توما آمنْتَ. طوبى للذين آمنوا ولم يَرَوْا». يوحنَّا ٢٠ و٢١: ٢٥ـ ٢٧ـ ٢٨ـ ٢٩ـ

والغريب في هذه المسألة أنه أية رواية من الظهور تُصدَّق. ففي «متى» بعضهم شكّوا وفي «مرقس» كلهم شكّوا وفي «لوقا» لم يؤمنوا حتى أراهم يديه ورجليه وأنها من لحم ودم وأكل معهم، وفي يوحنا لم يُصدّق «توما» حتى لم يَرَ أثراً للمسامير ويضع إصبعه في أثرها ويضع يده في جنبه، إلى هذه الدرجة من الشك، علماً بأنه قد أخبرهم مراراً كثيرة بأنه سيُقتل ويقوم بعد ثلاثة أيام.

«ومن ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى اورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكَتَبَة ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم»[١].

«فأخذ الإثني عشر وابتدأ يقول لهم عما سيحدث له، ها نحن صاعدون إلى اورشليم وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلّمونه إلى الأمم.

---

(١) متى ١٦: ــ ٢١ ــ

فيهزأون به ويجلدونه ويتّفِلون عليه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم»[1].

«وأخذ الإثني عشر وقال لهم ها نحن صاعدون إلى اورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان، لأنه يُسلَم إلى الأمم ويُستهزأ به ويُشتم ويُتفَل عليه ويجلدونه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم. وأما هم فلم يفهموا شيئاً وكان هذا الأمر مخفياً عنهم ولم يعلموا ما قيل»[2].

أوضح من هذا الكلام عن مصير يسوع لا يوجد بعد فكيف لم يفهموا ما قيل لهم وقد قاله مراراً؟

وفي إنجيل «متى»: يبدو أنهم قد فهموا وعرفوا ذلك حين أخبرهم «فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً حاشاك يا ربُّ، لا يكون لك هذا. فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان. أنت معثرةٌ لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس». متى ١٦: ٢٢ـ ٢٣ـ

وفي إنجيل «مرقس»: بعد أن أخبرهم لم يقولوا شيئاً فهل يدل هذا على عدم فهمهم أيضاً؟ علماً بأنه قد وبّخهم بعد قيامه وظهوره بينهم لعدم إيمانهم وقساوة قلوبهم حين رأوه ولم يصدّقوا ما رأوا، ولو لم يكن هناك علم وفهم مسبق لِمَا كان له

---

(١) مرقس ١٠: ٣٢ ـ ٣٤ ـ
(٢) لوقا ١٨و١٩: ـ ٢١ ـ ٢٣ ـ

الحق في توبيخهم لجهلهم بذلك حينئذٍ! كيف وقد حزنوا عندما علموا بذلك فعلاً، «وفيما هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع، ابن الإنسان سوف يُسلَّم إلى أيدي الناس، فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم فحزنوا جداً»[١].

جـ ــ تلامذة السيّد المسيح عليه السلام:

إذا أردنا تتبع سيرة التلامذة من خلال الأناجيل الأربعة نجد أنهم لم يكونوا في المستوى المطلوب لتأدية الرسالة المسيحية، ولا في المستوى الذي أراده السيّد المسيح منهم.

فسمعانُ القانَويُّ المسمّى ببطرس، حين انتهر السيّد المسيح عليه السلام «قائلاً له حاشاك يا ربُّ لا يكون لك هذا» عندما أخبرهم بأنه سيُقتل وفي اليوم الثالث يقوم، التفت إليه السيّد المسيح عليه السلام وقال له: «اذهب عني يا شيطان: أنت مَعْثَرَةٌ لي لأنك لا تهتم بما للّه لكن بما للناس»[٢]. وفي كلام آخر له عليه السلام بيَّن لهم أنهم سيشكون به بعد قيامه وينكره بطرس قبل ذلك «حينئذٍ قال لهم يسوع كلكم تشكّون فيَّ في هذه الليلة لأنه مكتوب أني أضرِبُ الراعي فتتبدد خراف الرعية، ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل، فأجاب بطرس وقال له وإن شكَّ فيكَ الجميع فأنا لا أشك أبداً، قال له يسوع الحقَّ أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديكٌ

---

(١) متى ١٧و١٨: ــ ٢٣ ــ

(٢) متى ١٦: ــ ٢٣ ــ

تُنكرني ثلاث مرات، قال له بطرس ولو اضطررت أن أموت معك لا انكرك، هكذا قال أيضاً الجميع»[1]، إلا أن الإنكار وقع فبعد أن اسْلِم يسوع إلى رؤساء الكهنة والشيوخ كان بطرس «جالساً خارجاً في الدار، فجاءت إليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلي فأنكر قدّام الجميع قائلاً لست أدري ما تقولين، ثمَّ إذ خرج إلى الدهليز رأته اخرى فقالت للذين هناك وهذا كانَ مع يسوع الناصري، فأنكر أيضاً بقَسَم إني لست أعرف الرجل، وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرسَ حقاً أنت أيضاً منهم فإنَّ لغتك تُظهرك، فابتدأ حينئذٍ يلعن ويحلف إني لا أعرف الرجل. وللوقتِ صاح الديك. فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات، فخرج وبكى بكاءً مراً»[2].

كما أخبرهم أيضاً بأنّ تلميذه يهوذا الاسخريوطي سيسلمه للقتل. «إنَّ ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه، ولكن ويلٌ لذلك الرجل الذي به يُسَلَّم ابن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد فأجاب يهوذا مُسَلِّمَه وقال هل أنا هو يا سيدي، قال له أنت قلت»[3].

فإذا كان التلامذة بهذا المستوى من الإيمان من التشكيك بعد الظهور والخيانة والإنكار والقَسَم في سبيل حفظ النفس

---

(1) متى ٢٦: ٣١ ــ ٣٥ ــ
(2) متى ٢٦: ٦٩ ــ ٧٥ ــ
(3) متى ٢٦: ٢٤ ــ ٢٦ ــ

بدلاً من التضحية في سبيل السيّد العظيم، فهل يمكن الوثوق بما نشروه وكتبه الكُتّاب فيما بعد؟

د ـ بولس الرسول: ـ

في الكتاب المقدّس، العهد الجديد رسائل من «بولس» الرسول إلى أهل رومية وكورنثوس وغلاطِيَّة وأَفَسُسَ وفيلبّي وتَسَالُونيكي وتيمُوثَاوُسَ وفليمون ورسالة إلى العبرانيين، مع أن «بولس» لم يُذكر من التلامذة الإثني عشر ولم يكن تلميذاً من تلامذة السيّد المسيح عليه السلام، لأن تلامذته كانوا: «سمعانَ الذي جعل له يسوع اسم بطرس، ويعقوب بن زَبَدِي، ويُوحنَّا أَخ يعقوب وجعل لهما اسم بُوَا نرْجِسَ أي ابني الرّعد، وأَنْدَراوسَ وفِيلُبُّسَ وبَرثُولَمَاوس، ومتَّى، وتُوما، ويعقوب بن حَلْفَى، وتدَّاوس وسِمعانَ القانويِّ، ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه». مرقس ٣: ١٣ـ ١٨.

فكيف أصبح رسولاً من الرّسل الذين قد خصَّهم يسوع بهذه التسمية وجعلهم رسلاً له في الأرض؟

يقولون انَّ «بولس» و«برنابا» قد اختيرا رُسُلاً من الروح القدس في أنطاكية في الكنيسة حين كانا هم ونِيْجَرَ ولوكيوس القيرواني ومَنَاينُ يخدمون الربّ ويصومون. إذ «قال الروح القدس أفرزوا لي «برنابا» و«شَاوُلَ» للعمل الذي دَعَوْتُهُما إليه»[1]. وشاول هو «بولس»، كما في أعمال الرسل، «وأما

(١) أعمال الرسل ١٣: ـ ٢ ـ

شاول الذي هو بولس أيضاً فامتلأ من الروح القدس وشَخَصَ إليه»[1]، وهذه دعوى بلا دليل لأن الرسل المعروفين بعد رفع السيد المسيح عليه السلام كانوا تلامذته الذين طلب منهم أن ينتشروا في الأرض ويبلّغوا برسالته، أما أن يُضاف رسلٌ آخرون على الذين اختارهم عليه السلام فهذا أمر لا يمكن قبوله خصوصاً وأنَّ الأناجيل الأربعة لم تُشر إليهم لا من قريب ولا من بعيد وغاية ما ورد في ختامها: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كلَّ الأيامِ إلى انقضاء الدهر»[2].

«ثم إنَّ الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله، وأما هم فخرجوا وكَرَزُوا في كل مكانٍ والرب يعمل معهم ويُثْبت الكلام بالآياتِ التابعة»[3].

«وها أنا ارسل إليكم موعد أبي، فأقيموا في مدينة اورشليم إلى أن تلبسوا قوة في الأعالي وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا. ورفع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم انفرد عنهم واصعِدَ إلى السماء وسجدوا له ورجعوا إلى اورشليم بفرح عظيم وكانوا كل حينٍ في الهيكل يسبحون ويباركون الله»[4].

---

(١) أعمال الرسل ١٣: ـ ٩ ـ
(٢) متى: ٢٨: ١٩ ـ ٢٠ ـ
(٣) مرقس ١٦: ١٩ ـ ٢٠ ـ
(٤) لوقا ٢٤: ٤٩ ـ ٥٣ ـ

أما إنجيل يوحنا فيقول: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أنَّ شهادته حق، وأشياء اخر كثيرة صنعها يسوع إنْ كُتِبَتْ واحدة واحدة، فلست أظن أن العالم نفسه يَسَعُ الكتب المكتوبة». يوحنا ٢١: ٢٤ــ ٢٥.

ولا يذكر شيئاً أيضاً عن بولس وبرنابا، بل حتى في نفس أعمال الرسل دلالة واضحة على أنَّ تلامذته وحدهم الذين اختارهم هم الشهود له في الأرض.

«لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهودا في اورشليم وفي كلّ اليهودية والسّامرة وإلى أقصى الأرض» أعمال الرسل ١: ــ ٨ــ

أما بالنسبة لـ«برنابا» فالغريب في الأمر أنه رغم ذكره في أعمال الرسل ودعوته إلى رسالة السيّد المسيح عليه السلام لم يُعترف بإنجيله المطبوع حالياً باللغة العربية نقلاً عن الإنكليزية، من قِبَل الكنيسة البابوية ولا حتى من أية كنيسة اخرى في العالم من خلال رؤسائها وكهنتها، أما السبب في ذلك فواضح، إذ لم يُذكر في هذا الإنجيل سوى كون يسوع نبيّاً مرسلاً من عند اللّه، لا إلهاً ولا ابن إله، وأنه لم يُصلب وإنما توفّاه اللّه تبارك وتعالى وظهر عليهم بعد ذلك وأظهر لهم أنَّ الذي صُلِب كان شخصاً آخر شُبّه لهم وهو يهوذا الذي أسلمه، وأنّه بشّر بظهور نبي من بعده اسمه «محمد» بالنصّ الصريح.

ثم إذا كان «برنابا» ممَّن اختيروا من الروح القدس حسب دعوى أعمال الرسل، فينبغي أن يُصَدَّق ما كتبه خصوصاً وأنَّ مخطوطة هذا الإنجيل موجودة في المكتبة الملوكية في «فيينا» ومترجمة بـ(لوس دال) و(لوراراج) في جامعة أكسفورد، وقد نقله إلى العربية الدكتور «جورج حنا»، ويذكر فيها «برنابا» أنّه كان من تلامذة السيد المسيح عليه السلام وأنه بعد ظهوره عليهم وأمرِهِ لهم بأن يكتبوا ويشهدوا بالحق تفرّق التلامذة في الأرض وبدأ كل واحدٍ يدعو حسبما تملي عليه رغبته وهواه، أمَّا هو فلم يكتب إلاّ ما رأى وعرف من الحق.

بقي شيء: أن يكون «بولس» و«برنابا» رسولين بمعنى أنهما مبشران أرادا نشر دعوة المسيح عليه السلام وهذا أمرٌ يمكن قبوله، دون دعوى الإختيار من الروح القدس، وإلاّ فلماذا اختيرا بالخصوص ولم يُختر أحد غيرهما بعد ذلك من قِبَلِهِ؟ هل لأنه لم يعد هناك أحد أهلاً للخير والصلاح والدعوة إلى رسالته عليه السلام؟ أم لماذا؟

هـ ــ من تعليم بولس الرسول:

من الطبيعي إذا اعترفنا بالأناجيل الأربعة واعتبرناها صحيحة، لا بدّ لنا أن نطرح ما يخالفها أو إذا لم يكن موجوداً فيها على الأقل، خصوصاً وأنَّ التلامذة حتماً قد نشروا كلّ ما تعلّموه وأخذوه عن نبيّهم.

ولنرَ ماذا يقول «بولس» عن المرأة في هذا التعليم الرسولي له:

«لتتعلم المرأة في كل خضوع، ولكن لست آذن للمرأة أن تُعلّم، ولا تتسلّط على الرجل بل تكون في سكوت، لأنَّ آدم جُبِلَ أولاً ثمَّ حوّاء، وآدم لم يُغوَ لكنَّ المرأة اغويت فحصلت في التعدي»[1].

في هذا النصّ «بولس» يُشرّع لا المسيح عليه السلام كما ورد في تعاليمه، بقوله «ولكن لست آذَنُ للمرأة أن تُعلّم»[2]، والمرأة في تعليم «بولس» ينبغي أن تكون صامتة لا رأي لها ولا كلمة، وهي سبب وقوع آدم في الخطيئة لأنها هي التي اغويت لا آدم عليه السلام فهي المخطئة المستحقّة للعقاب.

وفي نصّ آخر له «لأنَّ الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل، ولأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل، لهذا ينبغي للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة»[3].

نتساءل: هل يقبل يسوع الذي لم يقُل كلمة واحدة ضد المرأة تعليماً وتمييزاً كهذا؟ وهو الذي دافع عن المرأة التي كانت تُقبّل قدميه وتدهنهما بالطيب وهو متكئ في بيت الفريسي،

---

(١) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس: ١١ ــ ٤ ــ
(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١١: ٨ ــ ١٠ ــ
(٣) كورنثوس الأولى ١١ـ ٨ـ ١٠ـ

الذي استغرب وقال في نفسه لو كان هذا نبياً لعلم أن هذه المرأة التي تلمسه، امرأة خاطئة.

وكان يعلم أنها خاطئة، «ثمَّ قال لها مغفورة لكِ خطاياكِ»[1]، وعن المرأة التي أرادوا رجمها حين أتت إليه وكانت معروفة بالخطيئة، فقال لهم من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها، فرجعوا عنها.

ثم أي سلطان هذا الذي ينبغي أن يكون على رأس المرأة من أجل الملائكة؟ أن تغطي رأسها منهم وهم الحافظون للبشر!

إنَّ تعليماً كهذا يعني حرمان المرأة من كثيرٍ من الحقوق، فهل يمكن أن يكون هذا من تعليم يسوع؟ وهل يقبله نصَارى ومسيحيو اليوم أم يعتبرونه مناقضاً لتعليمه عليه السلام؟

البشر كلهم من بعضهم البعض كما نعلم جميعاً وكما يحدّثنا القرآن الكريم ﴿بَعْضُكُم مِنْ بَعْضٍ﴾. ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِيْ عَلَيهِنَّ بِالمَعْرُوفِ﴾. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُم أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. فأين موقع المرأة من ذلك التعليم؟

و - بطرس وموت يهوذا الإسخريوطي: -

يحدثنا إنجيل «متى» عن موت يهوذا الإسخريوطي تلميذ يسوع الذي أسلمه بقوله: «حينئذٍ لما رأى يهوذا الذي

(١) لوقا ٨: ٤٨.

أسلمه أنه قد دِيْنَ ندم وردَّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً قد أخطأتُ إذ سلَّمت دماً بريئاً، فقالوا ماذا علينا. أنت أبْصِر، فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه، فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحلّ أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم، فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخَّاري مقبرة للغرباء. لهذا سُمّي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم، حينئذٍ تمَّ ما قيل بإرميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمَّنوه من بني إسرائيل، وأعطوها عن حقل الفخَّاري كما أمرني الرَّبُّ»[١]، وهذا مناقض لما رواه بطرس عن طريقة موت يهوذا في أعمال الرسل إذ قال عنه حين وقف بين التلاميذ:

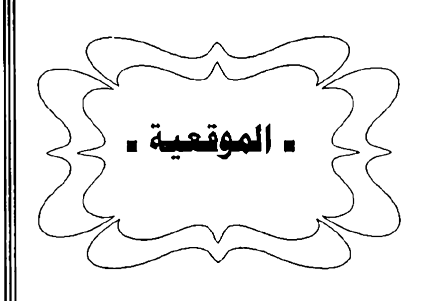
«إذ كان معدوداً بيننا وصار له نصيب في هذه الخدمة، فإنَّ هذا اقتنى حقلاً من اجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشقَّ من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها، وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم، حتى دُعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دَمَا، أي حقل دم، لأنه مكتوب في سِفْرِ المزامير لتصِر دارُهُ خراباً ولا يكن فيها ساكنٌ وليَأْخُذ وظيفته آخر»[٢].

فأيهما روايته صحيحة؟ «متى» أم «بطرس»؟ مع أن كليهما من تلامذة السيد المسيح عليه السلام؟

---

(١) متى ٢٧: ٣ ـ ١٠ ـ
(٢) أعمال الرسل ١و٢: ١٥ ـ ١٩ ـ

الفصل الثاني



١ ــــ موقع المسيح في القرآن؟

كان المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام عبداً للّه ونبياً من الأنبياء الذين بعثهم ربُّ العالمين لهداية الناس. ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. كما كان رسولاً إلى بني إسرائيل أي صاحب رسالة أيضاً لا مجرّد نبي يُبشر ويدعو إلى رسالة مَن سبقه من الأنبياء والرُسُل، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ...﴾ وكانت رسالته أو كتابه الإنجيل، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ... ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ...﴾. وقد بشَّرَ بالنبي الرسول «محمد» صلّى اللّه عليه وآله وسلّم. ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾.

وكان كلمة اللّه وروحاً منه. ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه﴾ وكان هو وأمه آية. ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾.

فالمسيح نبي ورسول إلى بني إسرائيل صدَّق بتوراة موسى وأتى بالإنجيل وبشَّر بنبي من بعده اسمه أحمد، وهو كلمة اللّه وروح منه وآية للناس.

ب ـــ موقع المسيح في الإنجيل؟

المسيح في الإنجيل ذو أسماءٍ عدّة إذ هو:

١ـ ابنُ اللّه: «قال لهم وأنتم مَن تقولون إني أنا، فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن اللّه. فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا، إنَّ لحماً ودماً لم يُعلن لك لكن أبي الذي في السموات»[١].

٢ـ ربٌّ: ـ «ولمَّا قربوا من اورشليم وجاءوا إلى بيت فاحي عند جبل الزيتون، حينئذٍ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما: اذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقت تجدان أتاناً مربوطاً وجحشاً معها فحُلاّهما وأتياني بهما، وإن قال لكما أحد شيئاً فقولا الرَّبُّ محتاج إليهما فللوقتِ يرسلهما»[٢].

٣ـ رسولٌ: «فقال لهم يسوع لو كان اللّه أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قِبل اللّه وأتيت، لأني لم آتِ من نفسي بل ذاك أرسلني، لماذا لا تفهمون كلامي»[٣].

---

(١) متى ١٦: ١٥ ــ ١٧ ــ
(٢) متى ٢٠ و٢١: ١ ــ ٤ ــ
(٣) يوحنا ٨: ــ ٤٣ ــ

٤ـ معلّمٌ: «وفي أول أيام الفطير تقدّم التلاميذ إلى يسوع قائلين له أين تريد أن نُعِدَّ لك لتأكل الفصح، فقال اذهبوا إلى المدينة إلى فلان وقولوا له، المعلم يقول: إنَّ وقتي قريب. عندك أضع الفصح مع تلاميذي»[١].

٥ـ ابن الإنسان: «وفيما هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع. ابنُ الإنسان سوف يُسَلَّم إلى أيدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم»[٢].

وعبارات الأناجيل الأربعة كلها تتضمن هذه الأسماء وإن اختلفت عباراتها وهي تعبّر عن موقف يسوع من نفسه، الأمر الذي يبدو واضحاً أنه مخالف للقرآن في كونه ابن الله وربّاً، أما كونه معلّماً وابن الإنسان فلا شك فيه وإن لم يردا نصّاً في القرآن الكريم لأن كلمة الرسول تحمل معنى المعلّم، وابن الإنسان تعني كونه بشراً ولد من بشرٍ وعاش عيشة البشر ومات ميتتهم.

﴿مَا المَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ...﴾ ﴿والسَّلامُ عَليَّ يَومَ وُلِدْتُ ويَومَ أَمُوتُ وَيَومَ أُبعَثُ حَيّاً﴾.

والغريب في الأناجيل أنَّ إنساناً مثل المسيح عليه السلام لم يُذكر بوصفٍ من الأوصاف التي يصف بها ربُّ

---

(١) متى ٢٦: ١٧ ـ ١٨ ـ

(٢) متى ١٦: ٢١ ـ ٢٢ ـ

العالمين أنبياءَه ورسله عادة من الصلاح والعلم والحكمة وصِدْقِ الوعد ونحو ذلك من الصفات الحميدة والأخلاق العالية للأنبياء، بل لا نجد سوى الألم وَتَذَكّر سوء المصير من الصَّلبِ والقتلِ والتذمر مِمَّن يطلب الشفاء وعدم الصبر في الدعوة إلى اللّه.

«ولما جاؤوا إلى الجمع تقدّم إليه رجل جاثياً له وقائلاً يا سيّد ازحم ابني فإنه يُصرع ويتألم شديداً ويقع كثيراً في الماء وأحضرته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه فأجاب يسوع أيها الجيل غير المؤمن الملتوي إلى متى أكون معكم، إلى متى أحتملكم. قدّموه إليَّ ههنا. فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفي الغلام من تلك الساعة»[1].

وكل ما ورد في حقِّ يسوعِ كوصفٍ على لسان التلامذة، أنه كان يشفي المرضى والأَكْمَهَ والأبرص والأخرس ويخرج الشياطين من الناس. ويحيي الموتى بإذن اللّه، أمّا كمنزلة عند اللّه فلا شيء يُذكر سوى أن صوتاً من السماء ناداه وهو صاعدٌ من الماء حين اعتَمَدَ من يوحنا المعمدان في الأردن وقال له: «أنت ابني الوحيد الذي به سررت»[2]. وكأنَّ اللّه بحاجة إلى أبناء ـ حاشا للّه ـ حتى يُسَرَّ بهم ويكونوا له أَنَساً. ﴿لَهُ مَا فِيْ السَّمَوٰاتِ وَمَا فِيْ الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ

---

(١) متى ١٦و١٧: ١٤ ــ ١٨

(٢) مرقس ١: ــ ١١ ــ

وَكِيلاً﴾.

أما في القرآن فعدا عمّا ورد في حقّه مما ذكرناه، فقد ذُكرت فيه أيضاً خصال عدة: فهو وجيهٌ في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين. ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسمُهُ المَسِيحُ عِيْسَى ابنُ مَرْيَمَ وَجِيْهاً فِي الدُّنْيَا وَمِنَ المُقَرَّبِيْنَ﴾.

ومن الصَّالحين: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ في المَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾.

وآيةً ورحمة: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً﴾. ومباركاً، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنتُ﴾.

وَبرّاً بوالدته: ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾.

ويُعَلّمه الكتاب والحكمة. ﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالانْجِيْلَ﴾.

ويُبرىء ما عجز عنه الطب: ﴿وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِيْ بُيُوْتِكُمْ...﴾.

وشهيدٌ عليهم يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِم شَهِيْداً﴾.

وَمَثَلٌ لبني إسرائيل: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ

وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

هذه هي أوصاف ومقامات أنبياء اللّه الصالحين عند ربهم، فمن أراد أن يعرف حقيقتهم فعليه أن يرجع إلى القرآن لا إلى الإنجيل، لأنَّ القرآن نزَّههم عن كلِ ما لا يليق بشأنهم ومنزلتهم عند اللّه تبارك وتعالى، ولعلَّ هذا ممّا يُسَرُّ به النصارى لتبيان عظمة وعلو شأن نبيهم ومنزلته عنده تعالى، ولكن ما هو الأولى بالاتباع حينئذٍ، القرآن الذي نزَّه الأنبياء عن كل نقص، أم الإنجيل؟

الفصل الثالث



مبادىء الاعتقاد بالمسيح

عليه السلام

المسيح كما هو معتقد به عند المسيحيين أو النصارى كما قد يحلو للبعض أن يسمّوا أنفسهم بهذه التسمية، إلهٌ تجسّد به الربُّ وإبن إله من مريم عليها السلام، وهم يعتقدون بمبادىء أساسية بعضها مستقى من الأناجيل الأربعة والآخر يدخل في ضمن فلسفة اللاهوت لتبرير الاعتقاد المسيحي، وهذه المبادىء هي:

١ـ بُنُوَّة المسيح.

٢ـ ألوهية المسيح.

٣ـ الخطيئة الأصلية.

٤ـ كفارة الدم.

٥ـ التجسيد.

٦ـ التثليث.

ا ــــ بُنُوّة المسيح:

هذه البُنُوَّة التي تعني كون المسيح «ابن اللّه» مستفادة

من الإنجيل، حيث ورد هذا اللفظ مراراً للتأكيد على هذه الفكرة.

«قال لهم وأنتم مَنْ تقولون إني أنا. فأجاب سمعانُ بطرسُ وقال أنت هو المسيح ابن اللّه الحيّ.

فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحماً ودماً لم يُعْلِن لك لكن أبي الذي في السموات»[١].

«... وكان صوتٌ من السموات أنت ابني الحبيب الذي به سررت»[٢].

«الروح القدس يحلُّ عليك وقوة العلي تظلُّلكِ فلذلك القدوس المولود منكِ يدعى ابنَ اللّه»[٣]، إلى ما هناك من عبارات كثيرة وردت في هذا المضمار تهدف بدرجة كبيرة إلى ترسيخ مثل هذه الأفكار والدعاوي، كما هو ملحوظ من أول الإنجيل إلى آخره، الأمر الذي يجعل الإنسان يعتقد وكأن هناك خطة مرسومة من البداية لتأسيس مثل هذا الزعم وغيرها من المزاعم الاخرى.

«ابن اللّه» تعبير إما أن يراد فيه المعنى المجازي بالمعنى الذي يعتبر فيه كل البشر أبناء اللّه من حيث رعايته لهم ورزقه إياهم ورأفته بهم، وإما أن يراد منه المعنى الحقيقي،

---

(١) متى ١٦: ــ ١٨ ــ
(٢) مرقس ١: ٩ ــ ١١ ــ
(٣) لوقا ١: ٢٦ ــ ٣٥ ــ

بالمعنى الذي يعتبر فيه الإبن مولوداً منه حقيقةً.

والمعنى الأول هو المراد قطعاً، وذلك لأنَّ:

أولاً: قد ورد هذا المعنى (المجازي) في حق النبي «إسرائيل»: «فتقول لفرعون، هكذا يقول الربُّ إسرائيل ابني البكر»[1].

وفي المزامير «داود» هو ابن اللّه بهذا المعنى أيضاً، «إني أخبر من جهة قضاء الرب، قال لي أنت إبني، أنا اليوم ولدتك»[2].

وفي العهد القديم من أخبار الأيام الأول سليمان هو ابن اللّه كذلك:

«هو يبني بيتاً لاسمي، ويكون لي ابناً وأنا له أباً»[3].

فلماذا يراد من عبارة الإنجيل «ابن اللّه» المعنى الحقيقي ولا يراد من عبارة سفر الخروج والمزامير وأخبار الأيام الأول نفس المعنى أيضاً؟ علماً بأن هناك عبارات في الإنجيل يبدو فيها استعمال المعنى المجازي بوضوح بالمقارنة مع نفس استعمال لفظ الأب في اللّه أيضاً.

---

(١) سفر الخروج ٤: ـ ٢٢ ـ
(٢) المزامير ٢: ـ ٧ ـ
(٣) أخبار الأيام الأول ١٠: ـ ٢٢ ـ

«طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء اللّه يُدعَون»[1].

«وَصَلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات»[2].

وإذا كان يسوع «ابن اللّه» بالمعنى الحقيقي فهو قد وُلِد من امرأة ومن لحمٍ ودمٍ، فهو من بشر.

وإذا كان لأجل كونه من روح اللّه، فآدم من روح اللّه أيضاً، غاية الأمر أن يسوع من روح اللّه من خلال النفخ في مريم عليها السلام، وآدم من روح اللّه من خلال النفح في الطين.

واختلاف الطريقة لا يعطي لهذا اسماً ولذاك اسماً آخر، فيكون الأول ابن اللّه والثاني (آدم) ابن التراب، لأن كليهما من روح واحدةٍ هي روح اللّه.

ثم إنَّ حقيقة الإبنية تستدعي أن يكون الآب والإبن والأم من طبيعة واحدة وجنس واحد كما هو مقتضى الخلقة في الأشياء، فالآب من جنس والإبن والأم من جنسين مختلفين عنه، فما الحاجة للرّب أن يتخذ إبناً من امرأة ضعيفة مسكينة خلقاً وتكويناً ولا يتخذ من عالمه وجنسه ابناً وامرأة كاملين مطلقين ليس فيهما ضعف البشر وآلامه وموته؟

(١) متى ٥: ــ ٩ ــ
(٢) متى ٥: ــ ٤٤ ــ

إنّ من يأتي من بشرٍ مهما اختلفت طريقة خلقه يكون بشراً ناقصاً، ومن يأتي من كاملٍ مطلق يكون كاملاً مطلقاً بمقتضى قانون السنخية، فكيف يُفرض شيء يختلف عنه في النوعية، من سنخه وهو من سنخ البشر؟

وإذا كان يجوز الاستيلاد على الإله فهذا يعني دخوله تحت نواميس المادة من الحركة والتبدل والتغير وما إلى ذلك من عوارضها، فلا يعود هناك ربٌّ يُعبد.

لقد رفض القرآن الكريم عقيدة البُنُوَّة الإلهية واعتبر خلق عيسى المسيح عليه السلام كخلق آدم عليه السلام.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. قال لعيسى عليه السلام كن من مريم عليها السلام فكان، وقال لآدم عليه السلام كن من تراب فكان، وكلاهما كانا من روحه تعالى.

﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِم يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدَاً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرَاً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

ب ـ أُلوهية المسيح:

قد يستفاد هذا المعنى من عبارات مثل:

«ولمّا قربوا من أورشليم وجاؤوا إلى بيت فاحي عند جبل الزيتون حينئذٍ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما: اذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقتِ تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً معها فحُلأَهما وأتياني بهما، وإن قال لكما أحد شيئاً فقولا الرَّبُ محتاج إليهما فللوقتِ يرسلهما»[1].

«فلما رأى ذلك تلميذان يعقوب ويوحنا قالا يا ربُّ أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا»[2].

«وبعد ذلك عيّن الربُّ سبعين آخرين أيضاً وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينةٍ وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتي»[3].

وإذا أردنا أن نفسر الإنجيل بالإنجيل حتى لا نقع بالتأويل من دون حجة، فإنَّ كلمة «ربّ» ورد ذكرها في الإنجيل بمعنى «معلّم».

«فالتفت يسوع ونظرهما يتبعانِ فقال لهما ماذا تطلبان؟

---

(١) متى ٢٠ و٢١: ١ ـ ٤ ـ

(٢) لوقا ٩: ـ ٥٤ ـ

(٣) لوقا ٩ و١٠: ـ ١ ـ

فقالا ربي الذي تفسيره يا معلّم أين تمكث»[1].

وهذا المعنى وغيره وارد في اللغة العربية كما إذا قلت: فلانٌ ربُّ البيت أي سيّده المسؤول عنه.

كما ورد ذكر الربّ في القرآن الكريم بمعنى السيّد حين قال يوسف عليه السلام لصاحبه وهو في السجن حين خروجه ﴿إِذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ أي اذكرني عند سيّدك.

فإذا كان الإنجيل يُفسر كلمة الرب «بمعنى المعلّم» والعرف واللغة يساعدان على ذلك، فلا مجال لدعوى أن الكلمة واردة بمعنى الإله. خصوصاً مع مناداة يسوع بلفظ «معلّم» في عدة نصوص:

«قال لها يسوع يا مريم، فالتفتت تلك وقالت له «ربّوني» الذي تفسيره يا معلّم، قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهاكم، فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأتِ الربَّ وأنه قال لها هذا». يوحنا ٢٠: ـ ١٨ـ

ولا يمكن أن يراد من كلمة الرب في هذا النصّ سوى «المعلّم» لأنها نادت يسوع بهذا اللفظ ولم يعترض عليها بل

---

(١) يوحنا ١: ـ ٣٨ ـ

طلب منها إخبار التلاميذ، بأنه صاعد إلى أبيه وأبيهم وإلهه وإلهاهم، ولا يمكن لربّ هو إله أن يصعد إلى إله، وما حاجته إلى الصعود إليه حينئذٍ؟

ومن الملاحظ أن كلمة «أنها رأت الرب» من كلام «يوحنا» كاتب انجيله لا من قول مريم المجدلية، فهو يصف حادثة الرؤية بعد الصلب والقيام، ثم يُضِف إليها أنها أخبرت أنها رأت الرّبّ بصياغته هو لا بالصيغة النصّية، وهذا حال الأناجيل كلها على أي حال فإنها على أقل تقدير قد كُتِبَت والّفت ولم تُكتب حسب النص والنزول، المهم أن ورود كلمة الربّ بعد ذكر «المعلم» واستعمالها في شخص يسوع في نفس الحادثة قرينة واضحة على أن المراد منها «المعلم».

«وفي أول أيام الفطير تقدَّم التلاميذ إلى يسوع قائلين له أين تريد أن نُعدّ لك لتأكل الفصح، فقال اذهبوا إلى المدينة إلى فلان وقولوا له: المعلّم يقول إن وقتي قريب عندك أضع الفصح مع تلاميذي» متى ٢٦: ١٧ـ ١٨ـ

«أنتم تدعونني معلماً وسيّداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك، فإن كنت فأنا السيّد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض»، يوحنا ١٢ و١٣: ١٣ـ ١٤ـ

جـ ـــ ماذا قال الناس في يسوع؟

حسب نصوص الإنجيل قال الناس في يسوع أنه نبي، «ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة مَنْ هذا، فقالت الجموع هذا يسوع النبي من ناصرة الجليل»[1].

وقالوا له المعلّم:

«وإذا واحد تقدّم وقال له أيها المعلم الصالح، أيّ صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية، فقال له لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحدٌ صالحاً إلا واحدٌ وهو اللّه»[2].

وقالوا له السيّد:

«ولماّ جاؤوا إلى الجمع تقدّم إليه رجل جاثياً له وقائلاً يا سيّد ارحم ابني فإنه يُصْرع ويتألم شديداً ويقع كثيراً في النار وكثيراً في الماء وأحضرته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه... فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفي الغلام من تلك الساعة»[3]. «وقال له واحد من الجمع يا معلم قل لأخي أن يقاسمني الميراث»، لوقا ١١ و١٢: ـ ١٣ـ

---

(١) متى ٢١: ـ ١٠ ـ
(٢) متى ١٩: ١٦ ـ ١٧ ـ
(٣) متى ١٦ و١٧: ١٤ ـ ١٨ ـ

د ــــ ماذا قال يسوع عن نفسه صريحاً؟

«قال لهم يسوع لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من اللّه»[١].

الراعي الصالح:

«أما أنا فإني الراعي الصالح وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني»[٢].

معلماً وسيداً:

تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك»، يوحنا ١٢ و١٣: ١٢ــ

فإذا كان يسوع نبياً ومعلماً وسيداً وبشراً وراعياً صالحاً فمن أين أتت دعوى الإلوهية؟

يبدو من بعض نصوص الإنجيل التعبير بلفظ اللّه:

«فانتهره يسوع الروح النجس وشفي الصبي وسلّمه إلى أبيه، فبهت الجميع من عظمة اللّه». لوقا ٩: ٤٢ــ ٤٣ــ ولكن لا يمكن أن يراد من اللّه هنا يسوع لأنّ الصحيح أن يقال فَبُهت الجميع من عظمته أي عظمة يسوع والتعبير بعظمة

(١) يوحنا ٨: ٣٩ ــ ٤٠ ــ
(٢) يوحنا ٩ و١٠: ــ ١٤ ــ

اللّه كناية عن العمل الذي قام به يسوع الذي هو تعبير عن عظمة اللّه.

«وضرب لهم مثلاً قائلاً: إنسان غني أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ ففكر في نفسه قائلاً ماذا أعمل لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري... فقال له اللّه يا غبي هذه الليلة تطلب نفسُك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون، هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنياً للّه». لوقا ١١: ١٦ـ ٢١ـ

وهذه تسمية واضحة من «لوقا» والضمير في كلمة (للّه) راجع إلى نفس اللّه لا إلى يسوع.

وعلى هذا يصبح يسوع: نبيّاً مرسلاً، ابن الإنسان، ابن اللّه، معلّماً صالحاً، سيّداً وراعياً وإلهاً، أما دعوى كونه النبي المرسل، البشر، المعلم الصالح، السيّد الراعي، فلا نقاش فيه ولا خلاف لأن ذلك من الصفات التي يمكن أن يتصف بها البشر، أما دعوى كونه ابن اللّه حقيقةً فقد تقدّمت مناقشته وأما دعوى كونه اللّه بذاته المقدّسة فهي دعوى يستحيل قبولها لأنَّ الإله لا يمكن أن يكون لحماً ودماً يموت ويفسد ولا يقدر على دفع الأذى عن نفسه ولا حتى الموت.

إنَّ التفسير الوحيد للانشقاقات وتعددية المذاهب النصرانية المسيحية هي وجود تلك الكلمات والتعابير المتعددة المختلفة المضامين في حق السيد المسيح عليه السلام، فلا عجب ممّن قال بالبُنوّة الحقيقية والألوهية بالاتحاد أو انقلاب الإله إلى لحم ودم.

والشيء الوحيد الذي يستحق القبول هو ما قاله الناس في حق يسوع ورضي به عن نفسه أما دعوى البُنُوّة الحقيقية والألوهية فهي من وضع الكُتَّاب لأنها مناقضة للعقل وما رود في حقه كبشر وكنبي مرسل من عند اللّه.

هـ ـ الخطيئة الأصلية:

وهي مستفادة من كلام للرسول بولس:

«فإذن كما بخطية واحدٍ صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببرّ واحدٍ صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة، لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعِل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً»[1].

عصى آدم ربه بأكله من شجرة الخطيئة في الجنة بعدما نهاه ربه عنها، فصارت الخطيئة موروثة إلى جميع البشر، وهذه الخطيئة لا يمكن أن تذهب إلا بالاعتقاد بتضحية يسوع بنفسه على خشبة الخلاص وإراقة دمه لمحو تلك الخطيئة.

«وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم وبدون سفكِ دم لا تحصل مغفرة»[2].

ولكن هل يتناسب هذا المعتقد مع تعاليم الأنبياء والسيد المسيح عليه السلام؟.

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية ٥ و٦: ١٨ ـ ١٩ ـ

(٢) الرسالة إلى العبرانيين ٩ و١٠: ـ ٢٢ ـ

في سِفْر «إرمياء» من العهد القديم ذُكر:

«في تلك الأيام لا يقولون بعد الآباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضُرست، بل كل واحدٍ يموت بذنبه، كل إنسانٍ يأكل الحصرم تُضرس أسنانه»[1].

وفي تعاليم النبي حزقيال:

«الإبن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الإبن، برُّ البار عليه يكون وشرُّ الشرّير عليه يكون فإذا رجع الشّرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقاً وعدلاً فحياةً يحيا، لا يموت»[2].

أما السيّد المسيح عليه السلام فقد قال:

«دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأنَّ لمثل هؤلاء ملكوت السموات، فوضع يديه عليهم ومضى من هناك»[3]، وقال لتلامذته: «الحقَّ أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات» متى ١٨: ـ ٣ـ

وهذا يكشف بوضوح عن براءة الأطفال وطهارتهم من حين الولادة لا أنهم قد ورثوا الخطيئة من آدم عليه السلام منذ القِدَم الإسلام يرفض عقيدة كهذه كما يرفض عقائد الشرك

(١) سفر إرمياء ٣١: ٢٩ ــ ٣٠ ــ
(٢) حزقيال ١٨: ١ ــ ٩ و٢٠ ــ ٢١ ــ
(٣) متى ١٩: ١٤ ــ ١٥ ــ

الاخرى وإن صبَّت في طريق التوحيد في نهاية الأمر حسب التأويلات، لأنها عين الظلم ولأن ﴿مَنْ يَكْسِبُ إِثْمَاً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾، ﴿ولا تزرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى﴾. أي ولا تحمل نفسٌ آثمة إثمَ نفس اخرى.

إنَّ من صفات اللّه تعالى العدل والرحمة والغفران، فهل يجوز عليه أن يُحمّل اناساً بريئين طاهرين آثام آخرين ثم يعاقبهم عليها؟ وما نفع الأعمال الصالحة حينئذٍ؟

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِيْنَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيْعَاً * إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْم﴾، هذه هي حقيقة الرحمة التي تكون عادة من القوي الجبار إلى الضعيف المسكين.

لقد فتح اللّه تعالى باب التوبة لعباده تعبيراً عن ضعف الإنسان المسكين الذي لا يقوى في كثيرٍ من الأحيان على مقاومة الأهواء والرغبات الشيطانية، ووعد بالمغفرة والعفو بشرطها لذلك عندما تاب آدم عليه السلام بعد أن عصى ربه بالأكل من الشجرة التي نهاه عنها، تاب اللّه عليه وغُفرت خطيئتُهُ، ولم تُورث بأولاد آدم عليه السلام ولا تطلبت عذاب ودم المسيح عليه السلام، ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَوَّابُ الرَّحِيْم﴾.

إنَّ مقتضى العقل والحكمة والعدل أن يتحمَّل الإنسان مسؤولية عمله حسناً كان أم سيئاً، وهو ما نزلت به الشرائع

وبشّر به الرُسُل.

﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾.

«الإنسان الصّالح من الكنز الصالح في القلب يُخرِجُ الصّالحاتِ، والإنسان الشرّير من الكنز الشرّير يُخرج الشرور، ولكن أقول لكم إنَّ كل كلمة بطّالةٍ يتكلم بها الناس سوف يُعطون عنها حساباً يوم الدين. لأنك بكلامك تتبرَّرُ وبكلامكِ تُدان»[1].

و ــ كفارة الدم:

وهي تعني أن يسوع قد اختار الموت على الصليب ليكفّر بدمه عن ذنوب وخطايا البشر، فالتخليص من عذاب جهنم أو الرب لا يمكن أن يكون إلاّ بالإيمان بكفّارية دمه، وهذا ما نقرأه في رسالة بطرس الرسول الأولى:

«وإن كنتم تدعون أباً الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحدٍ فسيروا زمان غربتكم بخوفٍ عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضةٍ أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلّدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حَمَلٍ بلا عيبٍ ولا دنسٍ دمِ المسيح. معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن

---

(١) متى ١٢: ٣٥ ــ ٣٧ ــ

قد اظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم»[1].

ولكن هل يتناسب هذا مع ما رغبه السيّد المسيح وأراده؟ إننا نقرأ في أحد نصوص الكتاب المقدس الحزن والخوف من المصير الذي قُدّر له، إذ تحدّث إلى تلامذته عشية إمساكه.

«فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا معي، ثمّ تقدَّم قليلاً وخرَّ على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت، ثمّ جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً، فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحد، اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة، أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف. فمضى أيضاً ثانية وصلّى قائلاً يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلاّ أن أشربها فلتكن مشيئتك. ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة، فتركهم ومضى أيضاً وصلّى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه»[2].

وفي نصٍّ آخر كان يصلي ليعبر عنه هذا الأمر، «فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا ثم تقدّم قليلاً وخرَّ على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن، وقال يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك

---

(١) رسالة بطرس الأولى: ١٧ ـ ١٩ ـ
(٢) متى ٢٦: ٣٨ ـ ٤٤ ـ

فأجِزْ عني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت» ثم جاء ووجدهم نياماً فقال لبطرس يا سمعانُ أنت نائم، أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة، اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة... ومضى أيضاً وصلّى قائلاً ذلك الكلام بعينه... ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا يكفي، قد أتت الساعة»[1].

وفي إنجيل لوقا:

«وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه أيضاً تلاميذه، ولما صار إلى المكان قال لهم صلّوا لكي لا تدخلوا في تجربة، وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلّى قائلاً يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك وظهر له ملاك من السماء يقوّيه وإذ كان في جهادٍ كان يصلي بأشدّ لجاجةٍ وصار عرقُهُ كقطراتِ دمٍ نازلةٍ على الأرض ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن، فقال لهم لماذا أنتم نيام، قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة»[2].

وفي إنجيل يوحنا:

«قال له تلاميذه هُوَذا الآن تتكلّم علانية ولست تقول مثلاً واحداً، الآن نعلم أنك عالم بكلّ شيء ولست تحتاج أن

---

(١) مرقس ١٤: ٣٤ ـ ٤١ ـ
(٢) لوقا ٢٢: ٣٩ ـ ٤٦ ـ

يسألك أحد. لهذا نؤمن أنك من اللّه خرجت، أجابهم يسوع الآن تؤمنون، هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كلّ واحدٍ إلى خاصته وتتركوني وحدي، وأنا لست وحدي لأنَّ الآب معي، قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام، في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم»[١].

إنَّ كلَّ هذه النصوص رغم اختلافها في بعض التفاصيل تؤكد على شيئين:

١ـ ترك تلامذته له وعدم اهتمامهم به في ساعة الحشرة. الأمر الذي يعني أنهم لم يكونوا النموذج الأمثل لأستاذهم ومعلمهم وسيدهم.

٢ـ تألمه وخوفه الشديد من المصير الذي وجد فيه استسلاماً لمشيئة ربه في نهاية الأمر رغماً عنه لأنه لم يكن يرغب الموت بهذه الطريقة. وبهذا يكون اللّه قد ظلمه لأنه لم يُجز عنه تلك الكأس.

وهل من العدل أن يتحمل إنسان واحد عاش لأجل اللّه وفي سبيل اللّه مسؤولية خطايا الناس؟

إنَّ هذا مناقض لما علّم يسوع وقال:

«ولكن أقول لكم إنَّ كلَّ كلمة بطَّالة يتكلم بها الناس

---

(١) يوحنا ١٦ و١٧: ٢٩ ـ ٣٣ ـ

سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين، لأنك بكلامك تتبرّر وبكلامك تُدان»[1].

الإنسان هو الذي يتحمل إثمه وخطأه لا شخصاً آخر غيره، بمقتضى قانون العقل، والحكمة، والعدل، وشريعة، أية شريعة كانت لا تتوافق مع هذا المنطق لا يمكن أن تكون صحيحة بل محرّفة ومزّيفة لأنها يستحيل أن تصدر من إلهٍ عادلٍ حكيم خلق في الإنسان العقل كي يزن الأمور ويدرك حقيقة العدل والإيمان.

لقد طلب يسوع من تلامذته بعد قيامه وظهوره أن يدعوا باسمه إلى التوبة ومغفرة الخطايا.

«وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث وأن يُكْرَزَ باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم». لوقا ٢٤: ٤٦ـ ٤٨ـ

فما الحاجة إذن إلى هذا التألم والتكفير الدموي طالما أن هناك دعوة ومجال للتوبة لجميع البشر؟!

وفي إنجيل مرقس:

«مَن آمن واعتمد خَلَصَ ومن لم يؤمن يُدَن وهذه

---

(١) متى ١٢: ــ ٤٤ ــ

الآيات تتبع المؤمنين»[1]، أي إنّ إيمان الإنسان هو الذي يُخلّصه لا الإيمان بكفّارية دم المسيح، فما نفع الإيمان بالكفارة أو الفدية الدموية مع عدم الإيمان الحقيقي بالرسالة والعمل بها أو التوبة الحقيقية من الذنوب والمعاصي؟ وإذا كانت هناك توبة فما الحاجة إلى تلك العقيدة التكفيرية لدم المسيح خصوصاً وأن الإيمان بالله هو إيمان بالرحمة والعدل والمغفرة؟

ويبدو أنَّ التأكيد على مسألة سفك دم المسيح عليه السلام لمغفرة الخطايا مستفاد من بعض نصوص الكتاب المقدّس:

«وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم، لأنَّ هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»[2].

وفي إنجيل مرقس نفس الفكرة ولكن من دون ذكر مغفرة الخطايا «وفيما هم يأكلون... وقال لهم هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين»[3].

---

(١) مرقس ١٦: ــ ١٦ ــ
(٢) متى ٢٦: ٢٦ ــ ٢٨ ــ
(٣) مرقس ١٤: ٢٣ ــ ٢٤ ــ

وفي إنجيل لوقا:

«وأخذ خبزاً وشكر وكَسَّرَ وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري، وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً هذه الكأس هي للعهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم»[1].

وفي إنجيل يوحنا:

«مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير، لأن جسدي مأكلٌ حقٌ ودمي مشربٌ حقٌ مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه، كما أرسلني الآب الحيُّ وأنا حيٌ بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي، هذا هو الخبز الذي نزل من السماء، ليس كما أكل آباؤكم المنَّ وماتوا، مَن يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد». يوحنا ٦ و٧: ٥٤ـ ٥٨ـ

وفي هذا النص لـ«يوحنا» لم يُذكر شيء عن مغفرة الخطايا بسفك الدم، وكلها تعابير محازية عن أن الذي يحيا حياة المسيح ويسلك طريقها، فهو حيٌ به وإلى الأبد.

ومع تلامذته قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لم يُشر إلى شيء من تضحيته التكفيرية.

---

(١) لوقا ٢٢: ١٧ ـ ٢٠

«قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتّزر بها ثم صبّ ماءً في مِغْسَلٍ وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متّزراً بها... فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه واتكّأ أيضاً قال لهم أتفهمون ما قد صنعت بكم، أنتم تدعونني معلماً وسيّداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك، فإن كنت فأنا السيّد والمعلّم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض». يوحنا ١٢ و١٣: ٤ـ ٥ـ ١٢ـ ١٤ـ

على هذا نجد أن كلمة «لمغفرة الخطايا» لم يذكرها سوى إنجيل متى. فهل يا ترى يمكن أن تكون قد سقطت بالنقل من الأناجيل الاخرى أم أنها زيدت في إنجيل ولم تزد في الاخرى؟ وسفك الدم يمكن أن يعني أنه قد اختار التضحية في سبيل الآخرين، كمن يستشهد في سبيل الحق من أجل أن يحيا الآخرون حياة الدين والقداسة، وهذا أمر مقبول ومقدّس عند اللّه والإنسانية.

كما في عبارة إنجيل «لوقا» التي تفيد نفس المعنى «يُسفك عنكم» أي في سبيلكم، وعبارة إنجيل «مرقس» «يُسفك من أجل كثيرين».

وعلى أي حال فإنّ الحديث عن كفارة الدم وفدية دمه لا نجده سوى في إطار مأدبة عشاء مع تلامذته بالخصوص من دون نشرهـا في الملأ وفي جوّ التعاليم العامة للسيّد

المسيح عليه السلام، فهل هو سرٌ من أسراره كان أم أنه غير صحيح لأنه القائل: ـ

«إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي»[1]، «أنتم أحبائي إن فعلتم ما اوصيكم به»[2]، «بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً»[3]، وحين أتاه شاب «وقال له أيها المعلّم الصالح أيّ صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية» كان جوابه: «لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحدٌ صالحاً إلاّ واحد وهو الله، ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا، قال له أيّة الوصايا، فقال يسوع لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك وأحِبّ قريبك كنفسك، قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتي، فماذا يعوزني بعد، قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعطِ الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني، فلما سمع الشاب الكلمة قضى حزيناً، لأنه كان ذا أموالٍ كثيرة»[4]. فلم يقل له يكفيك أن تؤمن بكفارة دمي لمغفرة خطاياك وخطايا المؤمنين بي، بل قال له «احفظ الوصايا».

وهكذا في سائر عبارات الكتاب المقدس كله في إطار دعوة المسيح عليه السلام العامة للناس، فهل يمكن إرجاع هذه

---

(١) يوحنا ١٣ و١٤: ــ ١٥ ــ
(٢) يوحنا ١٥: ــ ١٤ ــ
(٣) يوحنا ١٥: ــ ١٧ ــ
(٤) متى ١٩: ١٦ ــ ٢٢ ــ

العقيدة إليه عليه السلام وهو الذي علّم الناس أن يقولوا في الصلاة: «... واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجّنا من الشرّير، لأنّ لك القوة والمجد إلى الأبد، آمين، فإنه إن غفرتم للناس زلاّتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاّتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاّتِكم»[١]. وهل يعود هناك حاجة إلى افتداء نفسه وكفّارية دمه؟

إنّ هذه العقيدة ليست مرفوضة على أساس تعاليم السيّد المسيح عليه السلام فقط، بل هي مرفوضة من الناحية العقلية والأخلاقية أيضاً.

إنه انتهاك وتدنيس لعدل اللّه ولمفهومنا عنه كغفور رحيم، لذلك رفض القرآن الكريم الفكرة من أساسها، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءَاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوْرَاً رَحِيمَاً وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمَاً فَإِنَّمَا يَكْسَبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيْمَاً حَكِيْمَاً﴾.

ز ــــ التجسيد:

وهي دعوى تقوم على أساس أنَّ اللّه قد تجسَّد بيسوع، ومستندها ما ورد في إنجيل يوحنا، حيث ورد فيه:

«ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال

---

(١) متى ٥ و٦: ١٢ ــ ١٥ ــ

لكي تعرفوا وتؤمنوا أنَّ الآب فيَّ وأنا فيه». يوحنا ١٠: ـ ٣٨ـ

«وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد، أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمّلين إلى واحدٍ وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني». يوحنا ١٧ـ ٢٠ـ ٢٣ـ

وبنصّ أكثر وضوحاً في التجسيد التعبير بالحلول:

«الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكنَّ الآب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال». يوحنا ١٣ و١٤: ـ ١١ـ

وهذه الدعوى منقوضة أولاً: بعدم ذكرها في الأناجيل الاخرى، متى، لوقا، مرقس. لأنها لو صحّت لذكرت فيها على الأقل، لأن كلها للسيّد المسيح عليه السلام على الفرض.

ثانياً: يمكن تفسير حلول اللّه فيه بمعنى حلول قدرته فيه لأنه «هو يعمل الأعمال» أي اللّه. ولا مانع منه طالما أن عمل الأعمال أي القيام بالمعجزات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونحو ذلك يحتاج إلى قدرة خارقة غير عادية، ولا حاجة إلى الحلول الجسدي لأنه يلزم منه الإثنينيّة أي كونه بشراً وإلهاً في نفس الوقت وهو محال.

ثالثاً: سلمنا أنه حلّ فيه بمعنى الحلول المادي، ولكن هذا يعني أن الإله قد تحوّل إلى مخلوقٍ خارق، وهو وإن أصبح ذا قدرة خارقة إلا أنه في النهاية إله محدود عانى من الحاجات

البشرية كالأكل والشرب والنوم وأَلِمَ وتألم ومات ورفع، هذا عدا عن أنَّ التحوّل مستحيل لأنَّ ما هو واجب الوجود كامل منزّه عن كل نقص يستحيل أن يتحوّل إلى ممكنٍ محدودٍ متغيرٍ زائلٍ، ثم ما الحاجة إلى هذا التجسد؟ أللإهانة والشتم والعذاب والصلب؟

من المعلوم حسب الأناجيل الأربعة كلها أن يسوع صُلب وعند الصلب قال: ـ«الُوِي الُوِي لما شبقتني، الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني». مرقس ١٥: ـ ٣٤ـ

«ونادى يسوع بصوتٍ عظيم وقال يا أبتاه في يديك أستودع روحي ولما قال هذا أسلم الروح»[١].

«ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوتٍ عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني»[٢].

أما يوحنا فيبدو أنه وجد من العسير أن تصدر هذه الكلمات من فم بشرٍ قد حلّ اللّه فيه، لذا اكتفى بذكر الصلب قائلاً:

«فأخذوا يسوع ومضوا به، فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجُمجمة ويقال له بالعبرانية جُلْجُثة حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن

---

(١) لوقا ٢٣: ٤٤ ـ ٤٦ ـ
(٢) متى ٢٦: ـ ١٦ ـ

هنا ويسوع في الوسط»[1].

فكيف عجز يسوع عن درء الصلب أو الموت عن نفسه والله حالٌ فيه بقدرته وذاته؟

وفي موضع آخر من نفس الإنجيل يسوع إنسان لم يحلّ فيه أحد:

«أجابوا وقالوا له أبونا هو إبراهيم، قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله»[2].

إننا ومن خلال تتبع عبارات الكتاب المقدّس للعهد الجديد، نلحظ أن تَألِيْه السيّد المسيح قد سار بشكل تدريجي تطويري ضمن خطة تأسيسية فريدة لهذا الزعم، حتى وصلت إلى مرحلة تجسيدية تأليهية واضحة في إنجيل يوحنا، وعلى أيّ حال فإنّ كلّ النعوت التي نُعت بها عليه السلام لن تخرجه عن دائرة البشرية، لأنَّ إلهاً لا يمكن أن يتولّد من إنسان ولا يمكن أن يحلّ في إنسان، وحتى لو حلَّ فإنه لن يتنزه عن كل نقص. وهذا هو السّر في مخالفة علماء اللاهوت والكهنوت لضرورات العقل والحكمة والمنطق السليم في أمثال هذه

---

(١) يوحنا ١٩: ١٦ ــ ١٨ ــ

(٢) يوحنا ٨: ٣٩ ــ ٤٠ ــ

المسألة، إذ يكتفون بالقول في نهاية الأمر بأنه سرٌ من أسرار الكنيسة لا مجال للنقاش فيه ويقذفون غيرهم بالكفر والإلحاد.

ح ـــ التثليث:

سرٌ من أسرار اللاهوت، وهو عبارة عن الإيمان بالآب والابن والروح القدس كإله واحد فقط.

وهذه العقيدة مجمّعة مما ورد في الأناجيل الأربعة، فقد ورد في حقّ يسوع أنه ابن اللّه:

«قال لهم وأنتم من تقولون إني أنا، فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن اللّه الحي...» متى ١٦: ـ ١٦ـ

و«اللّه»:

«فقال له اللّه يا غبيُّ هذه الليلة تُطْلَبُ نفسُك منك فهذه التي أعددتها لمن تكون. هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنياً للّه». لوقا ١٢: ٢٠ـ

وقد أشرنا إلى ملاحظة وهي أن «لوقا» كاتب إنجيله «لوقا» المسمّى باسمه، سمّى المسيح باللّه وَأَوْرَدَ ذلك على لسانه، ويسوع في ضربه مثلاً للجمع من حوله حين طلب منه واحد منهم أن يقول لأخيه أن يقاسمه ميراثه أشار إلى اللّه لا إلى نفسه. لذلك «لوقا» قال: «قال اللّه» ويسوع قال: «هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنياً للّه». وهذه مناقضة واضحة وتسمية من نفس الكاتب.

«الروح القدس»: «أنا اعمدكم بماءٍ للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار»[1]، على لسان يوحنا المعمدان الذي كان يُعمِّد الناس في نهر الأردن قبل مجيء المسيح عليه السلام.

«أنا عمّدتكم بالماء وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس». مرقس ١: ـ ٨ـ

«أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يُقتاد بالروح في البرية أربعين يوماً يُجرَّب من إبليس...»[2].

«وشهد يوحنا قائلاً إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقرَّ عليه وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يُعَمِّد بالروح القدس»[3].

فالله هو الآب: «وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال أحمدك أيها الآب ربُّ السموات والأرض...». لوقا ١٠: ـ ٢١ـ

---

(١) متى ٣ و٤: ـ ١١ ـ
(٢) لوقا ٣ و٤: ـ ١ ـ
(٣) يوحنا ١: ٣٢ ـ ٣٣ ـ

والإبن هو يسوع: «فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحلّ عليكِ وقوة العلي تظللكِ فلذلك القدوس المولود منكِ يدعى ابن اللّه. لوقا ١: ـ ٣٥ـ

والروح القدس هو الحياة التي بها النور، فكان يُقتاد بالروح أي بالنور الذي حلَّ به من عند أبيه.

ولأجل الحفاظ على مبدأ التوحيد في إطار عقيدة التثليث: آب + ابن + روح قدس = إله واحد.

كان لا بدّ من تأويل ما ورد وإيجاد صيغة محدّدة تفي بالغرض، لذلك بعضهم التمس ذلك من عبارة وردت في آخر إنجيل متى: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»[1].

وما ورد في أول إنجيل يوحنا: «في البَدءِ كان الكلمة والكلمة كان عند اللّه. وكان الكلمة اللّه.

هذا كان في البدء عند اللّه. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس. والنور يُضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه»[2].

حيث فسّروا الكلمة بالابن والكلمة كانت عند اللّه والحياة بالروح والنور الذي فيه فتكوّنت أقانيم ثلاثة:

---

(١) متى ٢٨: ـ ١٩ ـ

(٢) يوحنا ١: ١ ـ ٥ ـ

١ـ أقنوم الوجود.

٢ـ أقنوم الكلمة.

٣ـ أقنوم الحياة.

والأول: هو الآب، والثاني: الابن، والثالث: الروح القدس.

«والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءاً نعمة وحقاً»[١].

الابن الكلمة أصبح اللّه «وكان الكلمة اللّه» ثم صار جسداً بعد أن نزل من عند أبيه متحداً به حالاً فيه مصاحباً بالروح القدس الذي كان ممتلأً به.

هذه العقيدة (التثليث) لا نجد لها دعماً في كلمات السيّد المسيح عليه السلام نفسه.

«قال له لماذا تدعونني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو اللّه»[٢].

«أحمدك أيها الآب ربُّ السموات والأرض...» لوقا ١٠: ـ٢١ ـ

---

(١) يوحنا ١: ــ ١٤ ــ
(٢) متى ١٩: ــ ١٧ ــ

كما عبَّر أيضا بأبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، «اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهاكم...» يوحنا ٢٠: ـ ١٨ـ

«إنَّ أوّل كل الوصايا هي إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا ربٌّ واحد وتحب الرّب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك»[1].

وأمثال هذا كثير على لسانه عليه السلام ولم يذكر أو يشر إلى ثلاثة في واحدٍ إطلاقاً، لذلك نجد أن المذاهب النصرانيّة اختلفت في تفسير التثليث اختلافاً كبيراً رغم اتفاقهم أخيراً على الوحدة، إلاّ أنه رغم ذلك لا ينسجم مع وحدانية اللّه لأنه إما أن تكون الثلاثة أقانيم ثلاث ذوات وهذا مستحيل لأنَّ الثلاث ذوات تشكل ثلاثة وجودات وتصبح الثلاثة تساوي واحداً وهذا لا يقول به عاقل فضلاً عن جاهل، لذا فهم لا يقولون بالتثليث على هذا النحو.

وإما أن تكون الثلاثة ثلاث صفات؛ أي إن الذات جوهر واحد ولكن له ثلاث صفات الأبوّة والبُنوّة والروح القدس.

أما صفة الأبوة فيمكن أن يكون الإله أباً لجميع البشر بالمعنى القدسي الذي تحمله هذه الكلمة من العطف والرعاية والرحمة للبشر الذين هم عياله؛ كما ورد في الحديث الشريف:

(١) مرقس ١٢: ٢٩ ـ ٣٠ ـ

«الخلق كلهم عيال الله أحبهم إليه أنفعهم لعياله». ومع ذلك فإنها صفة محدودة يتصف بها البشر.

وأما صفة البُنُوّة فإنها تعني الخروج من المطلقية إلى المحدودية لأنها تضفي على الإله صفة التولدية، وهو واقع حيث إنه تمّ تولّده عليه السلام من مريم عليها السّلام، فما كان إلهاً مطلقاً غير محدودٍ غدا إلهاً محدوداً تحكمه المادة بظروف الحياة والممارسة الطبيعية لها بسائر أحكامها ومتطلباتها، وهذا محال، لأنه لا يعود الإله الواجب الوجود إلهاً كاملاً قادراً حيّاً لا يحتاج إلى غيره. بل يغدو إلهاً ممكناً عاجزاً ناقصاً ميّتاً، فكيف يمكن لإلهٍ كاملٍ أن يتصف بصفة النقص (البنوّة)؟ وكذلك بالنسبة لصفة الروح القدس فإنها صفة لموصوفٍ محدود سواء فسّرنا الروح القدس بالقيّومية المطلقة أم بالحياة التي هي نور الأشياء أم بأي وصفٍ من الأوصاف، لأنها ترجع في النهاية إلى موجودٍ لا مطلقية لألوهيته وربوبيّته. وبالجملة فإنه مهما اعتبرنا الأقانيم الثلاثة، فإن فرضها على أي حال ثابت لمماثلٍ لا يُتصوّر ثبوت مطلقٍ فيه ولا حتى مساواته لأن الكاملٍ لا يماثله ناقص ولا حاجة كي يجعل الكامل نفسه ناقصاً بالمماثلة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ط ـــ موقف القرآن:

تعرَّض القرآن الكريم لمسألة البنوّة والتثليث فقط كونهما يشكلان المحور الأساسي للعقيدة المسيحية، فمن ناحية

البنوّة اعتبرها كفراً:

﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزيرٌ ابنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابنُ اللَّهِ، ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِم يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدَاً سُبْحَانَه بَلْ لَهُ مَا فِيْ السَّمَواتِ والأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُوْنَ بَدِيْعُ السَّمَواتِ والأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرَاً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

والقرآن الكريم حين رفض هذه المسألة لم يرفضها على أساس معنىً واحدٍ معهود يتبادر إلى الذهن لأول وهلة كمعنى الابن والولد المولودين كاستيلاد البشر، بل رفضها بكل أشكالها ومعانيها، إذ إنَّ اعتبار الابنية والوَلَدِية بحسب المعنى العرفي الطبيعي معلوم البطلان حتماً لأن اللّه تبارك وتعالى ليس بشراً حتى يلد كما يلد البشر، بل هو ذات مقدّسة كاملة منزَّهة عن كل نقص.

فإشكال النصّارى على القرآن بالولادة الطبيعية التي لا يقولون بها لا يَرِد لأنه تعالى قد نفى الولادة عن نفسه بشكلٍ مطلق وبأي وجه من الوجوه، والإشكال إنما يرد عليهم بلزوم الإثنينية والتعددية، لأن إرادة الانفصال عن الذات المقدسة والمماثلة له في الحقيقة، من معنى الإبنية، يستلزم ذلك، فلا تعود هناك وحدة، فالآب مثلاً موجود والابن انفصل عنه بحسب الجوهر والحقيقة من غير تجزءٍ ولا تدرّجٍ مادي وحلً

في هذا الشخص المسمَّى يسوع، فالجوهر وإن كان واحداً لكنَّه متعدد، ولو فرضنا أن هذا الجوهر حلَّ بكامله فيه، فهذا يعني أن الإله الآب قد ولد ومات ورفع نفسه إلى السماء وهذا لا يمكن القول به لأنهم يقولون إنَّه قد رُفِع إلى أبيه في السماء، فالآب موجود والابن موجود وهما حقيقتان مختلفتان، ويكفي في اختلافهما كون الابن المنفصل مفتقراً إلى أبيه ومحتاجاً إليه وإن كان من سنخه وحقيقته، حيث إنه فرع أصل والفرع محتاج إلى الأصل؛ فالتعددية المنافية للوحدة واقعة لا محالة.

أما من ناحية التثليث فقد اعتبره القرآن الكريم كفراً أيضاً، وإن صبَّ في التوحيد نهاية الأمر: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلهٌ واحدٌ﴾.

﴿... فَآمِنُوا باللَّه وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُوْلُوا ثَلاَثَةٌ. انتَهُوا خَيرٌ لكم، إِنَّمَا إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾.

والحكم بالكفر ناشيء عن أمرين:

١ـ استلزام ذلك الجسمية على اللّه، وكونه مادة، والمادة لها نواميس وقوانين خاضعة لها من حيث التجزء والتغير والزوال.

٢ـ منافاته لحقيقة الألوهية المقتضية لأعلى مراتب الكمال والصفات.

وعلى القول بأن الثلاثة: آب+ ابن+ روح قدس= إله

واحد) ليست أجزاء مادية، إنما حقائق منفصلة متماثلة أو جواهر ثلاثة انفصلت عن بعضها، فإن استحالة اعتبار الثلاثة واحدُ متحققة لا مناص منها، وملاكُ الاحتياج والافتقار إلى الآب الواحد حاصل، لأنَّ المماثلة وحدها لا تكفي في سدّه. فَمَنْ ينفصل عن كليّ القدرة ويماثله في الجوهر لا يكون كليّ القدرة مثله لأنه انفصل عمَّن أراد أن ينفصل عنه ويجعله ابنه ومثله وهو ربّه وإلهه.

فالجواهر الثلاثة (آب، ابن، روح قدس) وإن لم نعتبرها مادية وقلنا بالانفصال تبقى ثلاثة ولا يمكن أن تساوي واحداً إطلاقاً.

لنأخذ مثالاً توضيحياً:

تفاحة لها لون وطعم ورائحة وهي مع ذلك واحدة، فقد اجتمعت الصفات الثلاث في نفس التفاحة، فرغم تعدد الأوصاف فهي موجودة في واحد، وكذلك الآب والابن والروح القدس فإنها أوصاف لواحد، فالثلاث متحققة في الواحد.

وهنا تأتي الإشكالات:

١ـ إنَّ هذه الأوصاف هل هي جواهر أم أعراض؟

٢ـ إذا كانت جواهراً فماذا تقتضي؟

٣ـ وإذا كانت أعراضاً فماذا تقتضي أيضاً؟

إنَّ أوصاف التفاحة (اللون، الطعم، الرائحة) رغم وجودها في الشيء الواحد فإنها ثلاثة أعراض موجودة محسوسة، أي إنها ثلاثة وجودات.

وكذلك بالنسبة للأقانيم الثلاثة أو الصفات فسواء اعتبرناها جواهرَ أم أعراضاً فإنها تظلُّ تمثل ثلاثة وجودات لا واحداً، وسواء اعتبرناها مادية أم غير مادية فإنَّ ملاك الاحتياج والافتقار كافٍ في العَرَضيَّة المنافية لوحدة الذات وتعددها.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيْحُ ابنُ مَرْيَمَ...﴾.

﴿إِنَّمَا المَسِيْحُ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُوْلُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ...﴾.

بقي على النصارى أن يقولوا إنَّ هذه الفذلكة الفكرية لا أساس لها، وكل من لا يؤمن بالوحدة في التثليث فهو كافر زنديق وإن كان من النصارى.

الفصل الرابع



تعاليم السيّد المسيح

عليه السّلام

ورد في الأناجيل الأربعة بضعة أحكام وأمثالٍ وتعاليم بعضها متناسب مع عقل الإنسان وحكمة الأنبياء ومواعظهم وأخلاقهم والبعض الآخر مستغربٌ مستهجن.

ففي إطار البغض يقول يسوع حسب ما هو مذكور في الإنجيل:

«إن كان أحدٌ يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً»[1].

وهل هذا يتناسب مع قوله عليه السلام:

«طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض، طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون...»[2] «فكونوا رحماء كما أنَّ أباكم أيضاً رحيم...»[3].

---

(١) لوقا ١٤: ـ ٢٦ ـ
(٢) متى ١: ـ ٥ ـ
(٣) لوقا ٦: ـ ٣٦ ـ

«وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً، كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً، بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي، إن كان لكم حبٌ بعضاً لبعض»[1]؟.

فكيف يمكن أن يكون هناك أمر بالبغض حتى يكون تلميذاً له عليه السلام وهناك أمر بالمحبة حتى يعرف جميع الناس أنه من تلاميذه؟

وفي إطار السلام يقول:

«طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء اللّه يُدْعَون»[2].

وفي إنجيل لوقا يقول:

«جئت لألقي ناراً على الأرض فماذا اريد لو اضطرمت، ولي صبغة أصطبغها وكيف انحصر حتى تُكمل، أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض، كلا أقول لكم بل انقساماً لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة، ينقسم الأب على الابن والابن على الأب والأم على البنت والبنت على الأم، والحماة على كنتها والكنَّة على حماتها». لوقا ١٢: ٤٩ـ ٥٣ـ

وإذا كانت طبيعة دعوة المسيح تستلزم تلك النار

(١) يوحنا ١٣: ٣٤ ـ ٣٥ ـ
(٢) متى ١: ـ ٥ ـ

والانقسام فأين موضع المحبة والسلام فيها، حتى بين أفراد الأسرة والبيت الواحد، التي نادى وصرَّح بها في أكثر من موضع في الأناجيل الأربعة؟ هذا تناقض واضح.

ومع أمه مريم عليها السلام:

«وفي اليوم الثالث كان عُرسٌ في قانا وكانت أم يسوع هناك، ودُعِيَ أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمرٌ، قال لها يسوع مالي ولكِ يا امرأة، لم تأتِ ساعتي بعد، قالت امُّه للخدُّام مهما قال لكم فافعلوه». يوحنا ١و٢: ١ـ ٥ـ

بغض النظر عن مسألة الخمر وعلاقتها بدمه ـ «وَأَخَذَ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا».

وقد تقدم الحديث عن ذلك في «كفارة الدم» ـ فإن جواب يسوع لأمه ليس فيه أدنى احترام وأدب لأي أمٍّ كانت، إضافة إلى أنه ليس من أخلاق الأنبياء وتصرفاتهم، مع أنه من اولى وأهم واجبات حقوق الوالدين التي يوصي بها الأنبياء عادة وأقلّ البرّ لهما.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي...﴾ هذا هو قول اللّه تعالى على لسان

يسوع، وهذه هي أدنى وصايا الأنبياء للناس من ربّ العالمين «برّ الوالدين». فكيف غاب هذا البرّ عنه عليه السلام في جواب امه؟ ألِأجل ساعة الصلب التي لم تأتِ بعد؟ أم لأجل أنها استحقت ذلك لإخبارها بأنه لم يعد لمَنْ في العرس خمر؟ وهل يتطلب ذلك «مالي ولكِ يا امرأة»؟

ومن هذا القبيل، المعبّر عن انعدام الأسلوب الأخلاقي في التعامل، انتهاره لتلامذته حين سألهم في الطريق إلى قرى قيصريةِ فيلُبُّسَ قائلاً لهم:

«مَنْ يقول الناس أني أنا، فأجابوا يوحنَّا المعمدان وآخرون إيليَّا وآخرون واحد من الأنبياء، فقال لهم وأنتم مَن تقولون أني أنا، فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح فانتهرهم كي لا يقولوا لأحدٍ عنه»[1].

لماذا الانتهار؟ وهل هذا من صفات الأنبياء؟. ثم إن الغريب في هذا النص، طَلَبَهُ ألاّ يُخبروا أحداً عنه مع أنَّ دعوته للناس إلى الحق تقتضي أن يعرفوه حتى يؤمنوا برسالته وإلا فكيف يعرفوا أنَّ الذي يدعوهم هو نبيٌّ مرسل من عند اللّه قد ظهر فيهم؟ ومن التناقض ما نرى في موضع يطلب عدم الإخبار بالمعجزة التي جرت على يده وفي آخر يطلب الإخبار.

«وكان في إحدى المدن فإذا رجلٌ مملوءٌ برصاً، فلمّا رأى

---

(١) مرقس ٨ و٩: ٢٧ ـ ٣٠ ـ

يسوع خرَّ على وجهه وطلب إليه قائلاً يا سيّد إن أردت تقدر أن تطهرني، فمدَّ يده ولمسه قائلاً أريد فاطْهُر، وللوقتِ ذهب عنه البرص، فأوصاه ألاّ يقول لأحدٍ بل امضِ وأرِ نفسك للكاهن وقدّم عن تطهيرك كما أمر موسى شهادة لهم»[1].

«أما الرجل الذي خرجت منه الشياطين فطلب إليه أن يكون معه، ولكن يسوع صرفه قائلاً: إرجع إلى بيتك وحدّث بكم صنع اللّه بك، فمضى وهو ينادي في المدينة كلها بكم صنع به يسوع»[2]. علماً بأنَّ عدم الإخبار لا يتناسب مع ضرورة إثبات النبوّة بإظهار المعجز للناس والإخبار والحديث عنه، وإلا فكيف يُصدّقوا بنبوته؟

وفي إطار الصبر والتحمل المفروض من الأنبياء كي يُوصِلوا التعاليم إلى الناس بطريقة واعية مؤدّبة، ويواصلوا الطريق إلى النهاية حتى تكمل الرسالة، نجد يسوع إنساناً متذمّراً من قيامه بواجبه غير متحملٍ لمن يطلبون مساعدته.

«ولما جاؤوا إلى الجمع تقدَّم إليه رجل جاثياً له وقائلاً يا سيّد ارحم ابني فإنه يُصرع ويتألم شديداً ويقع كثيراً في النار وكثيراً في الماء وأحضرته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه، فأجاب يسوع أيها الجيل غير المؤمن الملتوي إلى متى أكون معكم، إلى متى أحتملكم، قدّموه إليَّ ههنا، فانتهره

(١) لوقا: ١٢ ـ ١٤ ـ
(٢) لوقا ٨ و٩: ٣٨ ـ ٣٩ ـ

يسوع فخرج منه الشيطان فشفي الغلام من تلك الساعة»[1].

وعن الدعوة إلى اللّه قال:

«وقال لآخر اتبعني، فقال يا سيّد ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي، فقال له يسوع دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب ونادِ بملكوتِ اللّه»[2].

أليس من المناداة بملكوت اللّه أمر الناس بذكر الموت ودفن موتاهم والاتعاظ بهم بتذكر المصير وحال الإنسان وما سيؤول إليه بعد الموت؟ أم أنه أمر ليس بذي شأنٍ؟ وهل يهزُّ الكيان ويثير في النفس المخاوف والتفكر في الرجوع إلى اللّه سوى هذه المسألة؟ إنها من صلب العقيدة والدين.

والأشدُّ غرابة في تعاليم يسوع ما ورد في هذا النص:

«وجاء إليه الفريسيّون[3] ليجرّبوه قائلين له هل يحلّ للرجل أن يُطلّق امرأته لكل سبب فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمّه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً.

---

(١) متى ١٦ و١٧: ١٤ ــ ١٨ ــ

(٢) لوقا ٩: ٥٩ ــ ٦٠ ــ

(٣) طائفة يهودية عُرفت بطقوسها الكاذبة. (المؤلف).

إذاً ليسا بعدُ اثنين بل جسد واحد، فالذي جمعه اللّه لا يفرّقه إنسان، قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يُعطى كتاب طلاق فتُطلَّق، قال لهم إنَّ موسى من أجل قساوة قلوبكم أَذِن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم إنَّ من طلَّق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج باخرى يزني والذي يتزوج بمطلقة يزني.

قال له تلاميذه: إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج، فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين اعطي لهم، لأنه يوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيانٌ خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، من استطاع أن يقبل فليقبل»[1].

ويَرِد عليه:

١ـ ما جمعه اللّه لا يفرّقه إنسان ولا يمكن أن يفرّقه إنسان لأنه رباط مقدّس ولكن الذي جمع وجعل هذا الرباط المقدّس يمكنه أن يفرّقه ويحلّه بأن يجعل له أسبابه وشروطه، وليس بالضرورة أن يكون الزنى هو السبب الوحيد لحلّه، فهناك عدم الانسجام والتفاهم الذي هو السبب الرئيس في الطلاق والفِرقة غالباً، سوء الخُلُق، قسوة المعاملة، الكبرياء أو الكِبْر، المرض المعدي، ونحو ذلك من الأسباب الاخرى التي توجبه، وهذه أمور طبيعية في الحياة، ماضيها وحاضرها.

(١) متى ١٨ و١٩: ٣ ـ ١٢ ـ

وإذا كانت شريعة موسى عليه السلام قد أحلّت ذلك مطلقاً من دون سبب الزنا فقط فينبغي أن تُحلّه شريعة المسيح عليه السلام وأن تكون أوسع وأيسر طبقاً لتوسع ظروف الحياة وتطورها وزيادة المشاكل معها، كما هو مقتضى الحكمة الإلهية في مراعاة الظروف الإنسانية.

٢ـ ما هو مصير المرأة المطلّقة من الزنا إذا كان يحرم التزويج بها؟ وهل هو سوى الزنا وإشاعة الفحشاء ونشر البغاء من خلال المطلّقات وحرمة التزويج بهن؟ فكيف يُشرَّعُ حكم من ورائه مفسدة؟

٣ـ لقد جاء جواب التلامذة لسيّدهم ومعلّمهم مناسباً حين قالوا له إذا كان وضع الرجل مع المرأة بهذا الشكل فلا يعود من الممكن له أن يتزوّج، لأنه خلاف الوضع الزواجي العرفي ومشاكله العديدة، مما يجعل الشريعة ضيّقة وحرجة على الناس.

٤ـ إن جواب يسوع لم يكن شافياً بل قاسياً، لأنه أجابهم بالخصي حقيقةً أو بالعزوبة والرهبنة مدى الحياة حتى لا يقع أحد في الحرام أو يتزوج بمطلقة، وهذا يدل على قساوة التشريع وعُسْرِيَّته، الأمر الذي يُنفِّر الناس من الدين وعدم الالتزام بخط اللّه تبارك وتعالى.

٥ـ إنَّ تعاليم كهذه لا نرى سوى كونها من وضع منافقين مشوِّهين لرسالة المسيح عليه السلام، لأن الشريعة

التي لا تراعي ظروف البشر وحياتهم وطبيعة الحياة ببساطتها وتعقيداتها على مرّ السنين لا يمكن أن تكون من عند ربّ العالمين لأنه هو الخبير اللطيف بهم والمراعي لمصلحتهم دائماً وعلى مرّ الدهور.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المسألة (التوسعة وعدم الحرج) لطفاً وكرماً ورأفة ببني إسرائيل على لسان عيسى المسيح عليه السلام بإحلال بعض ما كان قد حُرّم عليهم.

﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ والانْجِيْلَ وَرَسُوْلاً إِلَى بَنِيْ اسْرَائِيلَ أَنِّيْ قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكم... ومُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ بَعْضَ الَّذِيْ حُرِّمَ عَلَيْكم...﴾.

الإسلام بتشريعه أنشأ توازناً بين الروح والجسد فلم يُشرّع الرهبنة ولا أطلق عنان الجسد وغرائزه، بل أباح الزواج وحرّم الزنا وشرّع الطلاق بمختلف أوجهه (رجعي، خلعي، بائن) بعضه يحلّ فيه للزوج الرجوع إلى زوجته في العدّة، العدّة المفروضة بعد الطلاق ـ (ثلاث أطهر أو حيضات) وهو الطلاق الرجعي الذي حصل فيه الدخول وبعضه لا يحلّ إلا بعقد جديد كالمطلقة من دون دخول وهو نوع من البائن على تفصيلٍ مذكورٍ في كتب الفقه، فلا كبْت للغرائز ولا ضغط على النفس، إنما ضبط وتكييف لها طبقاً للشريعة السمحاء التي أباحت التمتع في الحياة والسير مع ركب المدنيات ضمن

حدود الله وأحكامه التي لا تتخالف معها لأنها كانت لأجلها لا ضدها.

وبذلك تختلف رسالة الإسلام عن رسالة المسيح عليه السلام في كونها أوسع وأشمل وأكثر انسجاماً مع متطلبات كل عصر وحاجاته، والقرآن الكريم دستور المسلمين دليل على ذلك، إضافة إلى السُنَّة الشريفة المفسّرة والمبينة له.

ا ـــ رسالة محدودة:

في نص ليسوع في الإنجيل نقرأ ما يلي:

«ثمّ خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيداء، وإذا أمرأة كنعانية خارجة من التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيّد يا ابن داود، ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة، فتقدَّم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال لم ارْسَل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[1].

هذا النص يكشف عن رسالة يسوع المحدودة والمتعلقة ببني إسرائيل فقط، فلا يمكن أن تكون رسالة عالمية لجميع الشعوب والأمم، وهذا مؤيَّدٌ من القرآن أيضاً بقوله تعالى:

﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَرَسُوْلاً إِلَى بَنِيْ

---

(١) متى ١٥: ٢١ ـ ٢٤ ـ

إِسْرَائِيلَ...﴾.

وعن صفته المحدودة نقرأ هذا النص بوضوح:

«وقال له واحد من الجمع يا معلّم قل لأخي أن يقاسمني الميراث، فقال له يا إنسان مَن أقامني عليكما قاضياً أو مقسّماً»[1].

فهو ليس بحاكم ولا قاضٍ الذي هو من شؤون الولاية على الناس وأموالهم. وفي المقابل ولاية الرسول العامة التي جعلها اللّه تعالى للنبي الأكرم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم على المسلمين.

﴿الرَّسُولُ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم﴾. والدور العام الشامل لكل البشر.

﴿قُل يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُوْلُ اللَّهِ إِلَيْكُم جَمِيْعَاً الَّذِيْ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَإِلَهَ إِلاَّ هُوَ...﴾.

دور الإنسانية والرحمة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أباً

---

(١) لوقا ١١ و١٢: ـ ١٣ ـ

وزوجاً وقائداً في ساحة المعركة وموجّهاً ومشرّعاً وحاكماً وقاضياً.

«إنما أنا بشر، وإنكم لتختصمون إليَّ وعسى أن يكون بعضكم ألحن بحجته من الآخر. فأقضي له على نحو ما أسمع. فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، فإنما أقطع له قطعة من نار فليأخذها أو يتركها» رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم.

ب ـ الخمـر:

من جملة التعاليم والأحكام المستغرب والمستبعد صدورها عن المسيح عليه السلام شربُ الخمر، حيث ذُكر في الأناجيل الأربعة أنه شرب الخمر وجعله كدمه الذي بذله لمغفرة خطايا الآخرين كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، فهو جائز في المسيحية لأن يسوع شربه عند العشاء الربّاني حين اشتهى أن يأكل الفصح مع تلامذته قبل أن يتألم.

«وقال لهم شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم لأني أقول لكم إني لا آكل منه حتى يُكمل في ملكوت اللّه. ثم تناول كأساً وشكر وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم لأني أقول لكم لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت اللّه...»[١].

إلا أن المتأمل في هذا الأمر يدرك أن يسوع قد أحلَّ ما

---

(١) لوقا ٢٢: ١٤ ـ ٢٠ ـ

هو طريق وسبيل إلى الجريمة والخطيئة (الزنا) التي نهى عنها وحاربها. فالخمر، كما هو معلوم، يسلب العقل ويؤدي بالإنسان إلى أن يقتل ويزني حتى بأقاربه ومحارمه، فهل يمكن لمن حارب الشيطان وقهره أن يُحِلَّ ما هو من طُرُقه ودعواته؟

لقد حرّم الإسلام الخمر وكل ما هو مفسد للبشرية من الميسر والنظر المحرم والمظهر اللاشرعي للمرأة لأنه سبيل وطريق إلى الشيطان، وهذا شأن كل شريعة محقّة، تحرّم كل ما فيه ضرر وفساد اجتماعي خُلُقي أو مادي. يقول القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ[1] مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وفي موضعٍ آخر منه عُبّر عن علّة الاجتناب وهي الإثم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾.

فعلى الرغم مما قد يحصل من بعض الفوائد من الخمر من تورّد الخدين ودفء الجسد حين البرد أو ربح المقامر عند المقامرة، فإنَّ المفسدة أشد وأكبر، لأنَّ الأمر لا يقف عند حدود ما قد يُتصور من المنفعة بل يتعدّاها إلى الوقوع في الإثم

---

(١) الميسر= القمار. الأنصاب= الأصنام التي نُصبت للعبادة أو لذبح القرابين عليها للتبرك بها. الأزلام= الأقداح التي كان المشركون يستقسمون بها.

والحرام. وفي موضعٍ آخر نُصَّ على حرمة اللازم (الإثم) من الملزوم (الخمر) وغيره وهو نفس النصّ على الملزوم.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ والبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللّه مَا لَمْ يُنَزِّل بِهِ سُلطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

جـ ـــ التعاليم المشتركة:

وردت بعض التعاليم المشتركة والأخبار المتصادقة في القرآن والإنجيل من ناحية الفكرة والمضمون، مما يفيد احتمال صدورها عن المسيح عليه السلام.

الزنـــــــــــا:

﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيْلاً﴾. ﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

«قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزنِ. وأما أنا فأقول لكم إنَّ كلَّ مَنْ ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه»[1].

الحلـــــــــــف:

﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرضَةً لأَيمَانِكُم أَنْ تَبَرُّوا وتتَّقُوا وَتُصْلِحُوْا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيْعٌ عَليمٌ﴾.

---

(١) متى ٥: ٢٧ـ ٢٨ـ

«أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أَوفِ للرّب أقسامك وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة». متى ٥: ٣٣ـ ٣٤.

المحبـــــــــــــة:

«لا يُؤمِنْ أَحدكم حَتّى يحب لأَخِيه ما يُحب لِنَفسِه» الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم.

«وصيّة جديدة أنا أعطيكم. أن تحبّوا بعضكم بعضاً». يوحنا ١٣: ـ ٣٤ـ

المغفـــــــــــــرة:

﴿وإِن تَعْفُوْ وَتَصْفَحُوْا وَتَغْفِرُوْا فإِنَّ اللّهَ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ﴾.

«... فإنه إن غفرتم للناس زلاّتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي». متى ٦: ـ ١٤ـ

الريـــــــــــــاء:

﴿يَا أيها الَّذِيْنَ آمَنُوْا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالمَنِّ والأَذَى كالذي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

«احترزوا من أن تصنعوا صَدَقَتَكُم قُدَّامَ النَّاس لكي ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات». متى ٥: ـ ١ـ

دفع الشرّ بالخير:

﴿وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ إِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّه وَلِيٌّ حَمِيْمٌ﴾.

«باركوا لاعينكم. أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الّذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات». متى ٥ و٦: ـ ٤٤ـ

حسن الكلام:

﴿يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا[1] وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾. ﴿وَقُوْلُوا لِلنَّاسِ حُسْنَاً﴾.

«ومَنْ قال لأخيه رَقَا يكون مستوجب المجمع، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم». متى ٥: ـ ٢٢ـ

الغضب:

﴿... وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُوْنَ﴾ ﴿والكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾.

«وأما أنا فأقول لكم إنَّ كلَّ مَنْ يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم». متى ٥: ٢١ـ ٢٢ـ

---

(١) راعنا ـ رقا= كلمتا شتم عند اليهود.

الصبـــــــــــر:

﴿... وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ ﴿وَاصْبِر عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾.

«... ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص». متى١٠: ـ ٢١ـ

الدعوة باللين:

﴿وَادْعُوا الَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾.

«ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب، فكونوا حكماء كالحيّات وبسطاء كالحمام» متى ١٠: ـ ١٦ـ

الغيبــــــــــــــة:

﴿وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضَاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوه﴾.

«ولماذا تنظر القذى في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها». متى ٧: ـ ٣ـ

المماثلـــــــــــة:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُم بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾.

«فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم لأنَّ هذا هو الناموس والأنبياء». متى ٧: ـ ١٢ـ

الاكتنـــــــــــــاز:

﴿وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُوْنَهَا فِيْ سَبِيْلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ﴾.

«لا تكتنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يُفسد السوسُ والصَّدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل إكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يُفسد سوسٌ ولا صَدَأٌ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون». متى ٦: ١٩ـ ٢٠ـ

د ـــ اخبار من القرآن والإنجيل:

وردت بعض الأخبار عن بني إسرائيل وطبيعة تعاملهم مع الأنبياء والرسل الذين بُعثوا إليهم، بتكذيبهم أو قتلهم، في القرآن والإنجيل، وهي مشابهة لبعضها من حيث الفكرة والمضمون.

ففي القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا موسَى الكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيْسَى ابنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكُم رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيْقَاً كَذَّبْتُم وَفَرِيْقَاً تَقْتُلُوْنَ﴾.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِم رُسُلاً، كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهم فَرِيْقاً كَذَّبُوا وَفَرِيْقاً يَقْتُلُونَ﴾.

وفي الإنجيل:

«... ويلٌ لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم، إذ تشهدون وترضَون بأعمال آبائكم لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم، لذلك أيضاً قالت حكمة اللّه إني ارسل إليهم أنبياء ورسلاً فيقتلون منهم ويطردون». لوقا ١١: ٤٦ـ ٤٩ـ

«يا أورشليم يا أرورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسَلين إليها كم مرّة أردت أن أجمع أولادكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا» لوقا ١٣: ـ ٢٤ـ

وعن طوفان نوح وهلاك قوم لوط، ورد في القرآن الكريم أيضاً:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِيْنَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُوْن... وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَطَراً، فَسَاءَ مَطَرُ المُنْذَرِيْنَ﴾. ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِيْنَ﴾.

وفي الإنجيل:

«وكما كان في أيام نوح كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الإنسان، كانوا يأكلون ويشربون ويزوّجون ويتزوجون إلى اليوم الذي فيه دخل نوح الفُلْك وجاء الطوفان وأهلك الجميع، كذلك أيضاً كما كان في أيام لوط كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون ولكن اليوم الذي فيه خرج لوط من سَدُومَ أمطر ناراً وكبريتاً من السماء فأهلك الجميع». لوقا ١٧ و١٨: ٢٦- ٣٠-

هذا الاتفاق في بعض التعاليم والأخبار القرآنية الإنجيلية يثبت وجود قواسم مشتركة بين رسالات السماء لأنها مُنزلة من عند إلهٍ واحد هو ربّ العالمين.

الفصل الخامس



«مريم» هذه الأم المطهَّرة المصطفاة على نساء العالمين، لا نجد لها حياة ولا ذكراً تستحقه ولو يسيراً في الأناجيل الأربعة، مع أن النصارى والمسيحيين يعتبرونها امُّ اللّه، حاشا للّه، وهي تنعت نفسها بأَمَةِ اللّهِ. «فقالت مريم هوذا أنا أَمَةُ الرّب. ليكن لي كقولك، فمضى من عندها الملاك». لوقا ١: ـ ٣٨ـ

ففي إنجيل «متى» أنها كانت مخطوبة ليوسف بن داود وأنَّ ملاك الرب ظهر له في حُلم وأخبره بأنَّ امرأته مريم قد حُبلت بولدٍ من الروح القدس وستلده وتسميه يسوع، وقد تقدَّم نصُّ ذلك فيما ذكرنا من سيرة السيد المسيح عليه السلام أول الأمر.

وفي إنجيل «مَرْقُس» اهملت عليها السلام تماماً، وفي إنجيل «لوقا» هي مباركة في النساء فقط، «فدخل إليها الملاك وقال سلامٌ لكِ أيتها المنْعَمُ عليها الربُّ معكِ مباركةٌ أنتِ في

النساء». لوقا ۱: ـ ۲۸ـ

أما إنجيل يوحنا فعدا عن إهمالها نجد سوء أدب من قِبل يسوع مع امه عليها السلام. حين قال لها «مالي ولكِ يا امرأة». وقد علّقنا على ذلك فيما تقدَّم من بحث.

أتُرى هل تستحق هذه المرأة المقدَّسة هذا الإهمال؟ إنَّ فاطمة الزهراء عليه السلام رغم أنها بنت النبي الأكرم «محمد» صلّى اللّه عليه وآله وسلّم لا ام نبي، فإنَّ سيرتها العطرة قد ملأت بطون كتب المسلمين.

ومن اللطافة والحكمة أنَّ اللّه تعالى قد أتحفنا بذكر مريم عليها السلام وسيرتها في القرآن الكريم، وأعتقد أن هذا شأن وديدن جميع الكتب المقدَّسة في ذكر النساء اللواتي بلغن مرتبة معيَّنة من الطهارة والقداسة، إضافة إلى مسألة الشرك والشُبهات التي أحاطت بالسيد المسيح وامه عليهما السلام من قِبَل المغرضين والمنافقين، لذلك جاء القرآن الكريم مُبيِّناً وكاشفاً عن الحقيقة كلها بسيرة واضحة المعالم نقية الصورة والهدف.

لقد وُلِدَت عليها السلام يتيمة الأب بعد أن كانت أمها قد حملتها وهي راغبة أن تُرزق طفلاً ذكراً، حين نذرت أن يكون ما في بطنها محرَّراً لبيت المقدس لا سلطة لأحدٍ عليه حتى متّها بقضاء حوائجها.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي

بَطْنِي مُحرَّراً[1] فَتَقَبَّل مِنّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيم﴾.

إلاّ أنَّ اللّه تعالى لم يحقق لها ما كان من نذرها وأمنيتها، لذلك شعرت بالأسى والحزن ـ كما يُستشعر من الآية حين وضعتها ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْها قَالَتْ رَبِّي إِنّي وَضَعْتُها أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأنثَى﴾.

وبما أن نذرها لم يتحقق أرادت تسميتها بما كان في نفسها من العبادة والخدمة للمولود الذكر الذي كانت تريده أن يكون عابداً وخادماً لبيت المقدس، فسمّتها «مريم» أي العابدة والخادمة، في لغة اليهود، وسألت ربّها أن يُجيرها وذريتها من الشيطان الرجيم.

﴿وَإِنّي سمَّيْتُها مَرْيَمَ وَإِنّي أُعِيذُها وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم﴾، فاستجاب لها ربّها وتقبّل ما كان منها حين سمّتها وأعدّتها للعبادة والخدمة. ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّها بقَبُولٍ حَسَنٍ..﴾، وجعل هناك من يكفلها وهي طفلة صغيرة تحتاج إلى الرعاية من أبٍ قد مات وأم حنون، وكان زكريا ﴿وكَفَّلها زَكَرِيّا﴾ وهو زوج أختها، بعد أن اختصم الذين كانوا يكتبون التوراة فيما بينهم فيمن يكفل مريم، إلاّ أن القرعة أصابته بعد

(١) محرّراً= معتقاً لخدمة بيت المقدس من قبيل تحرير العبد الذي يكون ملكاً لسيّده، فيُحرّر ولا يعود ملكاً لأحد، وبذلك يخرج عن سلطان الأبوين الذي لهما على الولد من حيث قضاء حوائجهما وطاعتهما في كل أمر.(المؤلف).

أن جعلوها حلاً للمشكلة ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِم إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُم أَيُّهُم يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِم إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، وجعل لها مكاناً خاصاً للعبادة كالمقصورة في مقدّم المعبد. وكان النبات الحسن بالتربية والرعاية الحسنة من اللّه تعالى بالوحي ونزول الملائكة عليها وتعليمها وإرشادها ﴿وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾ وكان كلما دخل عليها زكريا تلك المقصورة يجد عندها ذلك الرزق الذي كان يأتيها من الجنة سائلاً لها عن مصدره ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّه يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. وهكذا استمرّ التوجيه الدائم من اللّه عزّ وجل من خلال الملائكة بالطاعة والعبادة وعدم الانحراف كعملية إعدادٍ لما سيحدث في المستقبل من مفاجآت تكون على استعدادٍ تام لتَقبُّلها، ولتَعْلَمَ أنَّ تلك التربية الإلهية والعناية الروحية والمادّية ما كانت لتنالها امرأة غيرها لولا الهدف الذي كان يكمن وراءها بأن يكون منها نبي اللّه وكلمته عيسى ابن مريم عليها السلام.

﴿وَإِذْ قَالَتْ المَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِيْنَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِيْ وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِيْنَ﴾.

إلى أن حان الموعد وجاءت البشرى ﴿إِذْ قَالَتِ المَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيْحُ عِيْسَى ابْنُ

مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾. فلم تعترض أو تستنكر وإنما استغربت من طبيعة الأمر كونه يتم من غير اتصال جنسي فقالت ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فسلَّمت لأمر ربها عندما علمت أنه أمر اللّه وأن المسألة لا بد أن تتمّ ﴿لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾.

فحملته على أسىً إلى أن جاءها المخاض والولادة وتمنَّت لو أنها ماتت قبل أن يحصل لها هذا وهي العذراء البتول من البيت العفيف الطاهر ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا[1] * فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾. وأولدته عليه السلام بعد أن بعث اللّه تعالى في نفسها الاطمئنان والراحة بأن ناداها جبرائيل عليه السلام وطلب منها ألاّ تحزن لأنه تعالى قد هيأ لها ما تحتاجه في بداية الأمر من الماء والغذاء المفيد الملائم لحالها ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾، وألاّ تُكلِّم أحداً إذا

---

(١) انتبذت به= انفردت واعتزلت به. قصياً= بعيداً. سرياً= جدول ماء سارٍ. رُطَباً= نوع من التمر اللذيذ جنياً= طرياً. فرياً= منكراً عظيماً. بغياً= زانيةً. فأجاءها= من أجاء وجاء به وهو في الآية كناية عن حدوث دفع الولادة. المخاض= وجع الولادة وهو الطلق أيضاً.

سُئلت عن الولد والاكتفاء بالإشارة والإخبار بالنذر كمبرّرٍ لعدم الكلام وتجنباً لكثرة التساؤلات واللغط الذي قد يثار حول الموضوع، لأنه يفرض بطبيعة الحال أسئلة كثيرة عند الناس. لذلك كان الأمر بالإشارة إليه ونطقه كافياً في الرد عليها لأنه كان لا يزال في المهد، الأمر الذي حسم المسألة ولفت النظر إلى حدوث معجزة وظهور نبي كان متوقعاً عند أحبار بني إسرائيل. ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدَاً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمَاً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيَّاً * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُه قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئَاً فَرِيّاً * يَا أُخْتَ هَارُوْنَ مَا كَانَ أبوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بغيّاً فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوْا كَيْفَ نُكَلِّم مَنْ كَانَ فِيْ الْمَهْدِ صَبِيَّاً * قَالَ إِنِّيْ عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِيْ نَبِيَّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكَاً أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِيْ بِالصَّلاةِ والزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيَّاً وَبَرَّاً بِوَالِدَتِيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارَاً شَقِيَّاً والسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوْتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيَّاً﴾. وبهذا الكلام من فم السيّد المسيح الطفل ثبتت براءة مريم عليها السلام وعَرَف الناس أنَّ نبيّاً مُعْجِزاً قد ظهر بينهم رغم إنكار زعماء اليهود وكهنتهم.

المسيح وأُمُّه عليهما السلام:

عرض القرآن الكريم ما قيل في المسيح وأمه عليهما السلام من كونهما إلهين من دون الله، مبرأ لهما من هذه التهمة. ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُوْنِيْ وَأُمي إِلَهَيْنِ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ

لِيْ أَنْ أَقُوْلَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِيْ نَفْسِيْ وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِيْ نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوْبِ * مَا قُلْتُ لهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِيْ بِهِ أَنْ اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُم وكُنْتُ عَلَيْهِم شَهِيْدَاً مَا دُمْتُ فِيْهِم فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِيْ كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيْبَ عَلَيْهِم وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيْدٌ﴾.

قد يعترض بعض النصارى على القرآن الكريم، بأنهم لا يقولون بألوهية مريم عليها السلام، بل بكونها أُمّاً للّه، جلَّ وعلا، فما ورد غير صحيح.

والجواب على ذلك:

١ـ إنَّ الردَّ على فكرة الوهية مريم عليها السلام من قِبَل القرآن الكريم، إنما هو على أساس عملية التقديس ومظاهر العبادة المقدَّمة لها. وهذا ما توحي به كلمة «الاتخاذ» فإنَّ نفس هذه الممارسة هي اتخاذ وهذا شأن كل معبود يُتخذ إلهاً.

٢ـ إنَّ بعض النصارى كانوا يعتقدون بألوهية مريم وهم جماعة كانوا يُسَمَّوْن بالمريميين.

٣ـ إنَّ تاريخ الكنائس الشرقية والغربية يثبت عبادة مريم عليها السلام والإنكار إنما حصل بعد فترة طويلة من عهد الإسلام.

وفي شتى الأحوال فقد نفى القرآن الكريم أيَّ شركٍ أو

عبادة لغير اللّه تعالى واستنكره بشدة وإن صبَّ نهاية الأمر في إطار التوحيد حسب الفلسفة اللاهوتية.

﴿لَقَد كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ * قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيْحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِيْ الأَرْضِ جَمِيْعاً...﴾.

والحق أنَّ نفس الطريقة التي خُلق فيها السيد المسيح عليه السلام من امه العذراء البتول معجزة وآية، لذلك جعلهما اللّه تعالى آيتين (معجزتين) حتى يتمّ التصديق والاعتراف بالنبوة والرسالة، أما لماذا كانت هذه الطريقة، فهذا ما يمكن استفادته من تاريخ بني إسرائيل المظلم، والمتحدي دائماً لنبوات ورسالات السماء، بقتلهم لأنبياء اللّه ورسله وتكذيبهم لهم، فكان لا بد من ظهور نبي يكون نفسه معجزاً قبل أن تكون معجزاته دليلاً على نبوته لأن الأنبياء الذين سبقوه كُذّبوا وقُتلوا أيضاً رغم المعجزات التي قدّموها، ومع ذلك فإنَّ اليهود نتيجة عُتوهم وكفرهم حاربوه وأنكروه وكادوا لصلبه وقتله.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِيْنٍ﴾، وما كان آيةً أو أيَّ شخص آخر قُدّس واطيع فهو إله وربٌّ في منطق القرآن لأن معنى العبادة هو هذا، لذلك فإن الإنسان قد يُعبد إنساناً آخر بإطاعته له في كل ما يأمره به وهو لا يشعر. ومثال ذلك الكهنة والرهبان الذين عبَّر عنهم

القرآن الكريم بالأرباب وهم ليسوا بأربابٍ من حيث الواقع لدى الناس، وما ذلك إلاّ لأنهم أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فأطاعوهم فعبدوهم من حيث لا يشعرون، وهذا هو المعنى الصحيح المقصود في الألوهية والربوبية للمسيح أو لمريم عليهما السلام أو لأي شخصٍ آخر.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِنْ دُوْنِ اللَّهِ والمَسِيْحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوْا إلاّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً، لاَ إِلَهَ إلاّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

١ ـــ محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

في إطار حديثنا عن السيد المسيح عليه السلام لا بد أن نتحدث عن النبي محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كونه أكمل ما لم يكمله المسيح عليه السلام.

ولد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في مكة المكرمة في ١٢ أو ١٧ من شهر ربيع الأول عام الفيل، وكان يتيم الأب لأن أباه عبداللّه توفي وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه، وحين بلغ السادسة من عمره الشريف توفيت امُّه «آمنة بنت وهب» فتولى رعايته جده عبدالمطلب، ولما بلغ الثامنة من عمره الشريف توفي جده، فكفله عمه أبو طالب الذي كان يأخذه معه في سفره إلى الشام للتجارة. وقد بيَّنت لنا سورة الضحى هذه الحالة اليتيمية والألم النفسي الذي قد يعيشه الإنسان نتيجة الحرمان لعطف الأبوين وحنانهما ومحبتهما بقوله تعالى في سورة الضحى:

﴿وَالضُّحَى واللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى * وللآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولى. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ

فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالاًّ[١] فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً[٢] فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَر * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ حيث نزلت هذه السورة لتضفي لمسات الحنان على قلب النبي الكريم وتشعره بالعطف والقرب الإلهيّيَن وتذكّره بالنعمة الإلهية عليه حين كان طفلاً يتيماً، بتهيأة أسباب العيش الكريمة له وبالهداية إلى طريق الحق بعد أن كان حائر الفكر متأمل النفس صافيها لم يعبد صنماً أو يرتكب رجساً، وهي النعمة الجديرة بأن تُذكر.

وحين بلغ الخامسة والعشرين من العمر تزوج بـ «خديجة بنت خويلد» عليها السلام وأنجب منها القاسم والطاهر وابراهيم وفاطمة عليها السلام. إلاً أنَّ الأولاد الثلاثة الذكور ماتوا ولم يبق له إلاّ فاطمة عليها السلام التي كان منها نسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم. وأثناء تأسيه بابنه ابراهيم قال صلّى اللّه عليه وآله وسلّم:

«لولا أنَّ الماضي فَرَطَ الباقي وأنَّ الآخِرَ لاحقٌ بالأول لحزنا عليك يا ابراهيم ثم دمعت عينه وقال صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا يا ابراهيم لمحزونون».

---

(١) ضالاً= حائراً .　　　(٢) عائلاً= فقيراً.

إنها عاطفة كل أبٍ حنون عطوف يحنّ ويعطف على أولاده ويحزن على فقدهم ولكن لا سيطرة للحزن واليأس على النفس بل التسليم لأمر الرب.

وفي الخامسة والثلاثين من عمره الشريف حدث سيل عارم هدم الكعبة الشريفة التي كان إبراهيم وإسماعيل قد بنياها للطائفين والعابدين للّه على ملّة إبراهيم عليه السلام. فشارك في بنائها ووضع الحجر الأسود بيده الطاهرة في مكانه الذي كان قد وضعه فيه إبراهيم عليه السلام. بعد أن اختلفت القبائل فيما بينها فيمن يضعه، فأمرهم أن يضعوه في ثوبٍ وتُمسك كل قبيلة بطرف الثوب وتنقله ثم قام بوضعه.

أمّا استجابتهم لرأيه فكان لأجل سيرته بينهم بالصدق والأمانة، إذ كان ملقَّباً بـ «الصادق الأمين».

وقيمة هذا الحجر الأسود أنه يعتبر الآن منسكاً من مناسك الحج عند المسلمين حيث يطوف المسلمون منه حول الكعبة.

ولما بلغ الأربعين من العمر بدأ الوحي بالنزول عليه وهو في غار حراء حيث كان يقضي معظم أوقاته هناك مع نسمات الروح ونفحاتها التي تعبق القلب بالإيمان الحقيقي بالخالق المدبّر لهذا الكون وعجائبه وأسراره.

إنه التأمل والتفكر الذي يرفع الإنسان من مستوى الدّنَس

والشرك والمادة إلى مستوى الأخلاق والسمو الروحي المتألق.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

وكان أول عمل قام به صلّى اللّه عليه وآله وسلّم هو دعوة الناس إلى التوحيد الخالص والكامل للّه تعالى، كنقطة أساسية في الانطلاق في الحياة، بأن يتحرروا من عبودية كل شخص ووثن ومن كل براثن الفساد والعادات الجاهلية الموبقة، فألغى كل الفوارق الطبقية القائمة على أساس اللون والجنس والعرق والمال ووحّد الناس في صفة جماعية واحدة هي التقوى ﴿إنَّ أكْرَمَكُم عِنْدَ اللَّهِ أتقاكم﴾. وحرّم أفظع وأشنع عادة كان يمارسها الجاهليون بِوَأْدِهِم (دفنهم) الطفلة الصغيرة وهي حيّة. رافعاً بالمرأة إلى مستواها الحضاري المطلوب من خلال ما جعل لها من حقوق وجعل عليها من واجبات، وهي على قدر المساواة مع الرجل من هذه الناحية وإن اختلفت من نواحٍ اخرى مراعاة للجانب الأنثوي والذكري في كلا الجنسين.

إذ لا يمكن تحقيق المساواة الكاملة بينهما إلا إذا فرضناهما جنسين متماثلين وهما ليسا كذلك، فلا بد من إعطاء كل منهما حقَّه الطبيعي بمراعاة الجانب العاطفي عند المرأة في جوانب معيّنة ومراعاة الجانب الرجولي عند الرجل في جوانب اخرى حتى لا يختل نظام الحياة الخاضع لإعطاء كلّ ذي حقٍ

حقه في مختلف المجالات، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ * وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾.

والاختلاف في بعض التفاصيل ناشيء من مراعاة جانب حق المرأة في هذا الجانب صيانةً وحفظاً لها ومراعاة جانب حقّ الرجل في الجانب الآخر حفظاً له أيضا، فلا يجوز للمرأة أن تتزوج من أكثر من رجلٍ واحدٍ مثلاً في نفس الوقت حفظاً للنّسب واختلاط المياه، بينما يحق للرجل ذلك ضمن الحدود المعقولة التي ربما يستطيع من خلالها القيام بأعباء المسؤولية، والتي حُدّت بالزوجات الأربع.

وهكذا سائر الأحكام الاخرى التي تختلف بين الرجل والمرأة، لذلك فإنّ مسألة المساواة التي جاء بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم لم تكن لتلغي الفوارق الطبيعية بل وازت وعادلت بينها ونفس هذه الموازاة والمعادلة هي مساواة أيضاً.

أما في مجال العقيدة والكفاح في سبيل اللّه فهما على نفس القدر الكامل من المساواة من حيث الثواب والنتيجة. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُم أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أما المسيح عليه السلام فلم يقل شيئاً عن المرأة ولا

فعل شيئاً اتجاهها بل هي أسوأ حالاً في كلمات رسل المسيحية وقدّيسيها كما لا يخفى على المطلع لكتبهم عنها.

فكان تحرير المرأة وتحرير الإنسان من مختلف ألوان العبودية والاستغلال، فألغى صلّى اللّه عليه وآله وسلّم الرق باتخاذ خطواتٍ لتحرير العبيد. فكان كفارة للعاصي: ﴿فَلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَة، فَكُّ رَقَبَة...﴾.

ومُكَاتَباً من قِبَل سيده. ﴿وَالَّذِيْنَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيمَانُكم فَكَاتِبُوْهُم إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِم خَيْرَاً...﴾.

ونزل إلى ساحة الجهاد ومقاتلة الكفر وأتباعه فكان قائداً في المعركة وأشدّ المقاتلين قوة وشجاعة، ويصف الإمام علي عليه السلام شجاعة النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يوم بدر فيقول:

«لو رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول اللّه (نحتمي به) وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشدّ الناس يومئذٍ بأساً».

وفي معركة الأحزاب في وقعة الخندق كان صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يحفر الخندق مع المسلمين لمواجهة العدو.

أما المسيح عليه السلام كما هو مذكور في الإنجيل فقد قال:

«أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل مَنْ لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً، ومَنْ أراد أن يخاصمك

ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومَنْ سخرَّك ميلاً فاذهب معه اثنين»[1].

هذا التعليم قد يكون حالة علاجية للشر الذي يمكن علاجه في بعض الأشخاص المصابين به وليس في كل الحالات. لأنَّ هناك من يريد القضاء على الحق دائماً وفي جميع العصور، كيف وتاريخ بني إسرائيل كان معهوداً في ذلك. لذلك كانت المسألة الجهادية في حياة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلّم مطروحة من جانبين:

١ــ الدفع بالتي أحسن. ﴿إِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السيِّئَة فَإِذَا الَّذِيْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ﴾ أو دَرْءُ السيئة بالحسنة ﴿والَّذِيْنَ يَدْرَءُوْن بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾. وهذه مسألة محض أخلاقية.

٢ــ قتال وجهاد المشركين والكفار، وذلك لأنَّ بقاءهم يشكل خطراً على العقيدة خصوصاً وأنهم يريدون القضاء عليها وعلى معتنقيها، وهذه حالة لا يمكن ردّها بمفهوم «لا تقاوموا الشر» لأنها مسألة تعني الاستسلام والخضوع للطواغيت والمستكبرين، وهو خلاف ما أمر به اللّه تعالى وبعث لأجله الرسل. «أما فحوّل له الآخر» أو «فاترك له الرداء». فهذا يمكن تصوّره في إطار علاقة الأفراد مع بعضهم البعض

(١) ٥: ٣٩ ــ ٤١ ــ

ووجوب إيجاد صيغة من المحبة والإيثار فيما بينهم، وهو يتفق مع الجانب الأول من الطرح.

وعلى هذا الأساس سارت سيرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم الجهادية، ومن منطلق أن بقاء حكم الشيطان على الأرض المتمثل بالجبابرة والحكام الطغاة والمستكبرين سيزيد من الظلم والبلاء الإنساني وسيقوّي الشيطان وأتباعه، وقد استطاع صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أن يحقق ما يريد. فأقام دولة الإسلام تحت راية التوحيد ووحّد الشعوب والقبائل على أساسها وقدَّم للعالم دستوراً ونظاماً خالداً كان المعجزة الأولى والأخيرة رغم المعجزات الاخرى التي أتى بها، وهذه المعجزة كانت القرآن الكريم.

قد يتساءل الكثيرون أنه لماذا لم يُحيي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص ونحوها من المعجزات الاخرى التي أتى بها المسيح عليه السلام؟ أو حتى لماذا لم يُخلق صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كما خُلق عيسى عليه السلام من غير أب؟ أفلا يعطي ذلك وجه تفضيل على النبي محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم؟

ولكن إذا عرفنا أنَّ وجه التفضيل لا يكمن في طريقة الخلق ولا في المعجزة الخارقة المحدودة انحلّت كل التساؤلات والإشكالات، لأنَّ درجة التفضيل عند اللّه تبارك وتعالى حتى على مستوى الأنبياء عليهم السلام تقوم على أساس حجم

الدور الجهادي الذي انيط بكل نبي وطبيعة الرسالة من حيث شمولها وسعتها ومناسبتها لكل عصرٍ وزمان، وإلا فإن ذلك (طريقة الخلق) يقتضي أن يكون آدم عليه السلام أفضل من عيسى عليه السلام لأنه خُلق مباشرة من تراب بكلمة واحدة ولم يحتج إلى واسطة لتحمل به امرأة تعيش ألم الولادة ومخاضها إضافة إلى أنّ مناسبة المعجزة لكل عصر تلعب دوراً كبيراً في تصديق الناس بنبوة النبي. وهذا أمر تفرضه طبيعة المرحلة وطبيعة أجواء التحدّي للمستكبرين والمنكرين رسالة السماء.

فالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كان لا بدّ له أن يأتي بتلك المعجزات الباهرة، بل كان لا بدّ أن تكون طريقة خلقه وحمله معجزة أيضاً، لأن الوسائل الإعجازية قد وصلت إلى طريقٍ مسدود مع بني إسرائيل الذين قتلوا الأنبياء السابقين وأنكروا كلَّ نبي بُعث إليهم رغم المعجزة التي كان يأتي بها.

هذه الطبيعة الغريبة في العنصرية ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ رغم التفضيل الذي أُعطي لهم من الله تعالى من ناحية ما انزل عليهم من نِعَمٍ ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ...﴾ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ...﴾ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُم كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بهم خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم

بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيْهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. ﴿وَإِذْ قِيْلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ القَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُم...﴾.

ومن ناحية كثرة ما أُرسل إليهم من رسل. ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً * كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُم فَرِيْقاً كَذَّبُوْا وَفَرِيْقاً يَقْتُلُوْنَ﴾.

وفي الإنجيل:

«فمنهم مَنْ تقتلون وتصلبون. ومنهم مَنْ تجلدون في مجامعكم وتطاردون من مدينة إلى مدينة حتى ينزل بكم العقاب على سفك كلّ دم بريء على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن بَرَخِيَّا الذي قتلتموه بين المذبح وبيت اللّه»[(١)].

«أُورُشليم، أورُشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرّة أردت أن أجمع أبناءك مثلما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فما أردتم»[(٢)].

والعناد للحق ﴿قَالُوْا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا...﴾ ﴿ ...فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُوْنُوا قِرَدَةً خَاسِئِيْنَ﴾ ﴿واتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِيْنُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِيْنَ كَفَرُوْا﴾.

---

(١) متى ٢٣ و٢٤: ٣٤ ــ ٣٥ ــ

(٢) لوقا ١٣: ٣٧ ــ

﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. كل هذا كان يقتضي تلك المعاجز الخارقة العديدة للسيّد المسيح عليه السلام عدا عما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من أن اللّه تعالى بعث موسى عليه السلام بالعصا ويده البيضاء في زمنٍ كان الغالب فيه السحر فأبطل سحرهم. وأنه تعالى بعث عيسى عليه السلام في وقت احتاج فيه الناس إلى الطب فأتاهم بما أحيى لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن اللّه وأثبت به الحجة عليهم. وأن اللّه بعث محمداً صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام فأتاهم بما أثبت به الحجة عليهم.

فالنبي محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فلم يكن يحتاج إليها لأنّ التحدّي كان على أساس مقارعة الحجة بالحجة المناسبة.

فقد أتى صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بما يعتقدون أنه لا يمكن لأحدٍ أن يأتي بأفصح وأبلغ مما كان لديهم من الشعر وبلاغة الكلام وفصاحته، فكان لا بد من الإتيان بما هو أقوى بياناً وأفصح كلاماً وخطاباً، عدا عمّا ضمّ من وجوه الإعجاز الاخرى كالإخبار عن المغيبات وحصولها وتشريع الأحكام بما يتفق ومصلحة الإنسان إلى جانب القصص الحكِمي ذي العِبَر والدروس ونحو ذلك من إرشادات وتوجيهات للبشر، وقد برز هذا التحدي بقوله تعالى:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ ظَهِيرَاً﴾.

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفَاً كَثِيرَاً﴾.

وعلى هذا فلا يعود وجه للقول بأفضلية السيّد المسيح عليه السلام على النبي الأكرم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم طالما أن المسألة منوطة بحجم الدور والرسالة والظرف والجهاد الذي مارسه كل نبي. إضافة إلى أن الاعتقاد بأفضلية نبي على نبي لا يعني إلغاء الآخر وإنكار نبوته ورسالته التي بشَّرَ بها كما هو عند عقائد غير المسلمين. ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ * كُلٌّ آمَنَ باللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ * وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ﴾.

ب ــ الرهبنـة:

دعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم إلى ترك الرهبنة وحثَّ على الزواج كسُنَّة من سنن الحياة، فقد أودع اللّه تعالى الغرائز في البشر ليتناكحوا ويتناسلوا ويُقيموا مجتمع الإنسانية على الأرض، وإلا لما كان هناك حاجة إلى خلقها وإيداعها فيهم، لذلك فإنَّ تحدّي هذه السُنَّة يشكّل خطراً على النفس الإنسانية ويولّد فيها شذوذاً وانحرافاً لا تُحمد عقباه. قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «النكاح سنتي فمن

رغب عن سُنَّتي فليس مني» كما يقول الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُم أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. هذه المعاني التي يمثلها الزواج السَكَن، المودة، الرحمة، لا يمكن تحققها في العلاقة الزوجية إلا إذا كان الزوجان متحابين، منسجمين مع بعضهما البعض، مؤمنَيْن بالرسالة الإلهية الواحدة، عامِلَيْن في سبيلها، وإلا فلن يمكن تحقيق أي شيء منها.

والغريب في المسيحية أنها حين اعتبرت الزواج أمراً مقدَّساً للغاية «وما جمعه اللّه لا يفرقه الإنسان»[1].

وحرمت الطلاق «مَنْ طلَّق امرأته وتزوّج غيرها زنى عليها»[2] وشرَّعت الانفصال على بعض مذاهبها. دعت إلى الرهبنة، وهذا ما لا نلمسه في كلمات السيّد المسيح عليه السلام أو نصوص الإنجيل، ولربما استوحي ذلك من خلال حياته عليه السلام حيث إنَّه لم يتزوّج، أو من خلال بعض النصوص الإنجيلية التي تحدثنا عن بعضها في ترك الدنيا وخصي النفس.

«فكذلك كل واحدٍ منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً»[3]، «يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل

---

(١) مرقس ١٠: ـ ٦ ـ
(٢) متى ١٩: ـ ١٢ ـ
(٣) لوقا ١٤: ـ ٣٣ ـ

ملكوت السموات»[1]

ولعلّ هذا كان ناشئاً من الحالة التي كان يعيشها بنو إسرائيل من التعلق الشديد بالدنيا والحب الغريب للمال، فكانت الدعوة لها علاجاً لذلك المرض. وفي جميع الأحوال فإنها لا تنسجم مع طبيعة الفطرة البشرية، لأن الغرائز الإنسانية ليست غرائز شرٌ وضررٍ في الإنسان، بل هي غرائز فطرية تحتاج إلى ضبطٍ ونوعٍ من التوازن لا إلى كبتٍ وسحقٍ.

ومن هنا انطلقت الكلمة المشهورة للنبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم «لا رهبانية في الإسلام». لقد تزوج رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ليرينا كيف يكون الأب مع أبنائه وكيف يكون الرسول أباً صاحب اسرة إلى جانب دعوته وجهاده.

لقد قدَّم للعالَم شريعة شملت جميع جوانب ومرافق الحياة، على مدى ثلاثٍ وعشرين سنة من الكفاح والجهاد المتواصل، على أساس البعث العام إلى الناس كافة.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِيْ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...﴾ وأمر بالإيمان بجميع أنبياء اللّه وكتبه ورسله دونما تمييز.

---

(١) متى ١٩: ـ ١٢ ـ

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

لقد ظهر بعد السيّد المسيح عليه السلام بخمسة قرون على وجه التقريب، فأكمل دور الأنبياء الذين سبقوه، ورحل إلى الرفيق الأعلى وله من العمر ثلاث وستون عاماً، صلّى اللّه عليه وآله وسلّم.

الفصل السابع



هناك أربعة أناجيل يؤمن بها النصارى والمسيحيون، وهي: متى، مرقس، لوقا، يوحنا. نسبة إلى أسماء كاتبيها أو مؤلفيها إن صحت النسبة.

أول إنجيل كُتب، إنجيل «مرقس» وذلك بعد أربعين سنة على الأقل من (صلب) المسيح، وهو عبارة عن وثيقة "urmarcus" المترجمة إلى عدة لغات.

أما الإنجيل الثاني «متى» فقد كُتب باليونانية بعد صعود السيد المسيح عليه السلام وهو يضم وثيقة:

(German quelle = Source)

أما الإنجيل الثالث «لوقا» فقد كُتب باليونانية عن الوثيقتين السابقتين مع إضافات من قِبل «لوقا» نفسه، لذلك فإن أناجيل (متى، مرقس، لوقا) تسمى بالأناجيل المتشابهة نظراً لتشابهها في كثيرٍ من الأفكار والمواضيع.

أما الإنجيل الرابع «يوحنا»، فقد كُتب باليونانية اعتماداً على الأناجيل السابقة مع بعض الإضافات الواضحة، فالوهية

يسوع وتجسّد الرب فيه مثبتة بوضوح في هذا الإنجيل.

ا ــ مدى صحة الاناجيل:

من المعلوم أن اللغة التي كان يتكلم بها المسيح عليه السلام هي اللغة الآرامية، فما كُتب من تعاليم أناجيل ينبغي أن يكون بتلك اللغة، إلا أنَّ ما بالحوزة الآن هو وثائق مكتوبة باليونانية ولا وجود لأي وثيقة بالآرامية، إذ إن كلها ضائعة، وقد وصلت إلى كُتّاب الأناجيل باليونانية لا بالآرامية.

وقد لاحظ بعض المتخصصين في هذا المجال بعدة ملاحظات حول الأناجيل وصور كتابتها وتأليفها.

يقول الدكتور «كادوكس» المتخصص في هذا العلم في جامعة «أوكسفورد» حول طبيعة وتأليف إنجيل «مرقس»:

«It was written after peter's martyrdom (65 A.D) and at a time when mark, who had not himself been a disciple of Jesus, apparently had none of the personal disciples of Jesus within reach by whose knowledge he could check his narrative. These circumstances of its composition account for the existence in it, side by side, of numerous signs of accuracy and a certain number of signs of ignorance and inaccuracy?[1].

---

(1) C.J. Cadoux: The Life of Jesus, penguin books, p. 13.

الترجمـــة:

«لقد كُتب بعد استشهاد «بطرس» (٦٥ بعد الميلاد) وفي وقتٍ عندما «مرقس» الذي لم يكن نفسه من حواريي «يسوع» ولا أي واحدٍ من حواريي يسوع الشخصيين استطاع بوضوح، بمقتضى ما لديه ومن خلال ما يملك من معرفة، أن يحقق سرد أخباره.

هذه الظروف المحيطة برواية تأليفه (تركيبه) لأجل وجودها فيه، جنباً إلى جنب، لها عدة دلائل من الصحة وعدد محدَّد من علامات الجهل وعدم الصحة».

وعن إنجيل «متى» يقول «كادوكس»:

But a close examination of the treatment he gives to his borrowings from mark, shows that he allowed himself great freedom in editing and embroidering his material in the interest of what he regarded as the rightful honouring of the great master.

The Same tendencies are often visible elsewhere when he is producing «Q» or providing matter peculiar to himself. Any thing, therefore, strictly peculiar to «Matthew» can be accepted as historical only with great caution»[1].

الترجمـــة:

«إلا أنَّ اختباراً دقيقاً للمعالجة التي يقدّمها لاستعاراته

(1) C.J. Cadoux: The Life of Jesus, penguin books, p.14.15.

من إنجيل «مرقس» تظهر بأنه قد سمح لنفسه بحرية كبيرة في تحرير وتنميق مادته لصالح ما اعتبره التشريف العادل للسيد العظيم. نفس الميول مدركة غالباً أينما كان، حين يعرض (وثيقة) «Q» أو يُزوّد بمسألة خاصة لنفسه. لذلك فإنَّ أيَّ شيء يخص «متى» تماماً يمكن قبوله كشيء تاريخي فقط بحذرٍ كبير»

ويضيف الدكتور «كادوكس» حول الإنجيل الرابع (يوحنا) قائلاً:

«The Speechs in the fourth Gospel (even apart from the early messaimic claim) are so different from those in the synoptics, and so like the comments of the fourth Evangelist himself, that both cannot be equally reliable as records of what Jesus saîd. Literary veracity in ancient times dîdnot forbid, as it does now, the assignment of fictitions speechs to historical characters. The Best ancient historians made a practice of composing and assigning such speechs in this way»[1].

الترجمـة:

«الكلمات في الإنجيل الرابع (بصرف النظر حتى عن الزعم المسيحي القديم لها) مختلفة جداً عن تلك التي في الأناجيل المتشابهة، أيضاً مثل تعليقات «إيفانغيلست(*) نفسه

(1) C.J. Cadoux: The Life of Jesus. p. 16

(*) عُدّ أحد مؤلفي الأناجيل الأربعة. (المؤلف).

على (الإنجيل) الرابع.

كلا الأمرين لا يمكن أن يكون معتمداً على حدٍّ سواء كمدوّنات لما قال يسوع.

«الصدق» من الناحية الأدبية (في الأدب) في العصور القديمة لم يمنع، كما يمنع الآن، من تخصيص أو تحديد الكلمات المزيفة للشخصيات التاريخية، أحد أفضل مؤرخي التاريخ القدامى قام بتجربة تأليف وتحديد مثل هذه الكلمات بنفس الطريقة».

وحول الأهداف التي لأجلها كُتبت الأناجيل، يقول توكر في كتابه «تاريخ المسيحيين على ضوء المعرفة الحديثة:

«Thus Gospels were produced which clearly reflected the conceptions of the practical needs of the community for which they were written.

In them the traditional material was used, but there was no hesitation in altering it or making additions to it, or in leaving out what didnot suit the writer's purpose»[1].

الترجمـــة:

«وهكذا صدرت الأناجيل التي عكست بوضوح تصور الحاجات العملية للجماعة التي لأجلها كُتبت، فيها استُخدِمت

---

(1) T.G.Tucker. The History of the christians in the light of modern knowledge p:320.

المادة التقليدية (المعروفة)، إلا أنه لم يكن هناك أيّ تردد في تحريفها أو جعل إضافات إليها، أو في إسقاط ما لا يلائم هدف الكاتب».

إشارة إلى هذا أيضاً يقول البروفسور «دُمِلُو» في جامعة «كمبردج»:

«A Copyist would some times put in not what was in the text, but what he thought ought to be in it. He Would trust a fickle memory, or he would make the text accord with the views of the school to which he belonged. In addition to the versions and quotations from the christion fathers. nearly four thousand Greek Mss of the Testament were known to exist. As a result the variety of reading is considerable?(1).

الترجمـــة:

«وناسخ قد لا يضع أحياناً ما كان في النصّ، بل ما اعتقد أنه يجب أن يكون. قد يثق بذاكرة متقلبة، أو قد يجعل النصّ وفق آراء المدرسة التي انتمى إليها، بالإضافة إلى الترجمات والشواهد من الآباء المسيحيين (الكُتّاب القدامى)، حوالي أربعة آلاف مخطوطة يونانية من «العهد الجديد» كانت معلومة الوجود، كنتيجة فإن تنوع القراءة أمر هام».

وبالجملة لو كان الإنجيل الحالي من عند اللّه لما وجدوا

(1) J.R.Dummelow. Commentary on the holy bible. p: -16-

فيه هذا الاختلاف وَلَمَّا اختلفوا فيه وشكّكُوا بنصوصه.

ب ــ صحة القرآن:

ثبت القرآن الكريم عند المسلمين عن طريق التواتر، وهو عبارة عن تواتر الأخبار بينهم جماعة جماعة، يمتنع تواطؤها على الكذب من عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم إلى وصوله بين أيدينا، على أن هذا الكتاب الكريم (القرآن) هو كتاب اللّه المنزل على النبي محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم من دون زيادة أو نقصان.

والمسلمون رغم تعدد مذاهبهم واختلاف آرائهم في الفقه والعقيدة فإنهم متفقون قاطبةً على أن القرآن الكريم الحالي هو الكتاب الإلهي الوحيد الصحيح الباقي على مرّ الأزمان والدهور، ورغم كل محاولات التشكيك فيه، فإنه لم يطرأ عليه أي تغيير أو تبديل في سبيل دحضها ومواجهتها، كما قد يحصل في بعض الكتب المقدّسة، وإناطة الحفظ والبقاء له باللّه تعالى، هي الأساس في كل ذلك. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

ونحن نفهم هذا الحفظ من خلال الآيات التي تخاطب الإنسان بقوة بيان وأسلوب عقلي متين مدعوم بالحجج والبراهين، بحيث يعجز العقل البشري عن مواجهتها وتحدّيها. وبعبارة اخرى إنَّ حفظه بمضمونه وذاته بغض النظر عن إحباط محاولات المحرّفين والمزوّرين، وجعل كيدهم في

تضليل.

وقد تعرَّض القرآن الكريم لمسألة التحريف وأجاب عنها بكل بساطة، معتبراً الاختلافات والتناقضات في الفكرة والمضمون في الكتاب الواحد هو الدليل على كونه من عند غير اللّه.

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُوْنَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوْا فِيْهِ اخْتِلاَفَاً كَثِيْرَاً﴾.

القرآن نزل على النبي محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم على مراحل وفي مناسبات مختلفة طيلة ثلاث وعشرين سنة من الوحي وحُفِظ في قلوب الكثير من المسلمين وكُتب على قطع الجلد ونحوها ثم جُمِعَ على النحو الذي شكَّل كتاباً مقدَّساً.

المسلمون يختلفون في ناسخ القرآن ومنسوخه وتفسير بعض آياته وعامّه وخاصّه وبعض أحكامه، إلاَّ أنهم لا يشكّون ولا يختلفون أبداً في نقاوة نصّه.

فصحة القرآن إذن تعتمد على:

١ــ كونه كتب بنصّه حسب النزول.

٢ــ عدم ضياع ما كُتب.

٣ــ كون الذين كتبوا الوحي أمناء.

٤ــ لم يُكتب بعد رحيله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بل أثناء وجوده بين المسلمين.

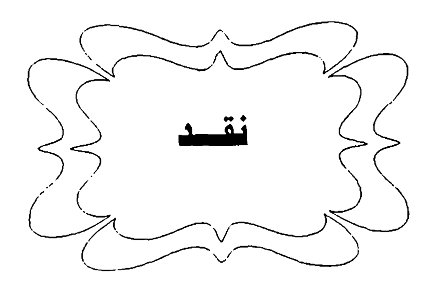
٥ــ كُتب باللغة العربية حسب النزول وانتشر إلى العالم بنفس اللغة.

٦ــ وجود المخطوطات القرآنية القديمة المطابقة لآيات القرآن الكريم الآن تماماً.

٧ــ عدم وجود الاختلافات في المواضيع التي تكشف عن وقوع التناقضات فيه.

هذه الحقائق تبين أنَّ كتاب اللّه (القرآن) قد وصلنا بشكله الأصلي

الفصل الثامن



نقــد

«ابن الإنسان»
بين المهدي والمسيح

يستنتج بعض المؤلفين من ورود كلمة «ابن الإنسان» في الإنجيل، ظهور الإمام المهدي عجّل الله فرجه آخر الزمان، محاولاً تأويل كثيرٍ من النصوص التي تتلائم مع فكرته ومقتصراً على نقل بعضها بإيجاز[1].

ولنرَ هل يتمُّ هذا الاستنتاج أو لا؟

أولاً: وردت عبارة «ابن الإنسان» محدّثة عن ظهوره آخر الزمان في ثلاثة مواضع من الإنجيل.

الموضع الأول:

«وفي الحال بعد مصائب تلك الأيام تُظلم الشمس ولا

(١) المهدي والمسيح ــ باسم الهاشمي.

يُضيء القمر، وتتساقط النجوم من السماء، وتتزعزع قوات السماء، وتظهر في ذلك الحين علامة ابن الإنسان في السماء، فتنتحب جميع قبائل الأرض ويرى الناس ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء في كلّ عزَّة وجلال، فيرسل ملائكته ببوقٍ عظيم الصوت إلى جهاتِ الريح الأربع ليجمعوا مختاريه من أقصى السماوات إلى أقصاها».

ومتى جاء ابن الإنسان في مجده ومعه جميع ملائكته يجلس على عرشه المجيد وتحتشد أمامه جميع الشعوب فيفرز بعضهم عن بعض، مثلما يفرز الراعي الخراف عن الجِداء فيجْعل الخراف عن يمينه والجداء عن شماله، ويقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مَنْ باركهم أبي رِثوا الملكوت الذي هيَّأهُ لكم، لأني جُعت فأطعمتموني وعطشت فسقيتموني، وكنت غريباً فآويتموني، وعُرياناً فكسوتموني، ومريضاً فزرتموني وسجيناً فجئتم إليّ... ثم يقول للذين عن شماله: ابتعدوا عني يا ملاعينُ إلى النار الأبدية المهيَّأة لإبليس وأعوانه، لأني جعت فما أطعمتموني وعطشت فما سقيتموني وكنت غريباً فما آويتموني، وعُرياناً فما كسوتموني ومريضاً وسجيناً فما زرتموني...» متى ٢٤ و٢٥: ٢٩ـ ٤٤ـ

الموضع الثاني:

«وفي تلك الأيام، بعد زمنِ الضيق تُظلم الشمس ولا يُضيء القمر، وتتساقط النجوم من السماء، وتتزعزع قوات

السماء، وفي ذلك الحين يرى الناس ابن الإنسان آتياً في السحاب بكل عزّة وجلال، فيرسل ملائكته إلى جهات الريح الأربع ليجمعوا مختاريه من أقصى الأرض إلى أقصى السماء». مرقس ١٢ و١٣: ٢٤ــ ٢٧.

المـوضـع الثالث:

«وستظهر علامات في الشمس والقمر والنجوم، ويصيب الأمم في الأرض قلق شديد ورعب من ضجيج البحر واضطراب الأمواج. ويسقط الناس من الخوف ومن انتظار ما سيحلّ بالعالم لأن قوات السماء تتزعزع، وفي ذلك الحين يرى الناس ابن الإنسان آتياً في سحابة بكلّ عزة وجلال، وإذا بدأت تتم هذه الحوادث، قفوا وارفعوا رؤوسكم لأن خلاصكم قريب» لوقا ٢١ و٢٢: ٢٥ــ ٢٨ــ

ثانياً: لم يرد عندنا أنَّ الإمام المهدي «عج» يأتي على سحاب أو في سحاب ولديه ملائكة يرسلها إلى جهات الريح الأربع، وأنَّه يجلس على عرشه المجيد يفرز الناس بعضها عن بعض ويحاسبها على أفعالها.

وهذا يناسب المعتقد المسيحي في حق المسيح عليه السلام، إذ يعتقدون بأنه إله وربٌّ له هذه المواصفات، لتجسّد الإله فيه حسب زعمهم، ولا يناسب معتقدنا إطلاقاً، فما هو طريق الخلاص عندهم غير طريق الخلاص عندنا.

ثالثاً: لقد أشار السيّد المسيح عليه السلام إلى كونه «ابن الإنسان» بوضوح عندما سأله تلامذته عن حدوث الخراب وعلامة مجيئه وانقضاء الدهر، كما نبههم على انتحال أحد لاسمه مدّعياً أنه هو (المسيح) وأنّ وقته قد حان، وهذه كلماته:

«وبينما يسوع جالس في جبل الزيتون سأله تلاميذه على انفراد أخبرنا متى يحدث هذا الخراب، وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟ فأجابهم يسوع... ستقوم امّة على امّة ومملكة على مملكة وتحدث مجاعات وزلازل في أماكن كثيرة، وهذا كله بَدءُ الأوجاع... ويعُمُّ الفساد، فتبرد المحبة في أكثر القلوب، ومَنْ يثبت إلى النهاية يخلص وتجيء النهاية بعدما تُعلَن بشارة ملكوتِ اللّه هذه في العالم كله، شهادةً لي عند الأمم كلها... ها أنا انذركم فإن قالوا لكم ها هو في البرية فلا تخرجوا إلى هناك أو ها هو في داخل البيوت فلا تصدقوا، لأنّ مجيء ابن الإنسان يكون مثل البرق الذي يلمع من المشرق ويضيء في المغرب. وحيث تكون الجيفة تجتمع السور. وفي الحال بعد مصائب تلك الأيام تُظلم الشمس ولا يُضيء القمر وتتساقط النجوم من السماء ... ». وقد تقدم الباقي. متى: ٢٣ و٢٤: ٣ـ ٧ـ ٨ـ ١٢ـ ٢٩.

«... انتبهوا لئلا يُضللكم أحد. سيجيء كثير من الناس منتحلين اسمي، فيقولون أنا هو وحان الوقت. فلا

تتبعوهم، وإذا سمعتم بأخبار الحروب والثورات فلا تفزعوا، لأن هذا لا بدّ أن يحدث في أول الأمر ولكن لا تكون الآخرة بعد، وقال يسوع: ستقوم امّة على امّة ومملكة على مملكة، وتقع زلازل شديدة وتحدث أوبئة ومجاعات في أماكن كثيرة وتجري أحداث مخيفة وتظهر علامات مخيفة... فإذا رأيتم أورشليم تحاصرها الجيوش اعلموا أنَّ خرابها قريب... ويدوس الوثنيون اورشليم إلى أن يتم زمانهم وستظهر علاماتٌ في الشمس والقمر والنجوم، ويصيب الأمم في الأرض قلق شديد ورعبٌ من ضجيج البحر واضطراب الأمواج، ويسقط الناس من الخوف ومن انتظار ما سيحلُّ بالعالم لأنّ قوات السماء تتزعزع، وفي ذلك الحين يرى الناس ابن الإنسان آتياً في سحابة بكلّ عزة وجلال». لوقا ٢٠ و٢١: ٨ــ ١٠ــ ٢٠ــ ٢٥ــ ٢٨ــ

رابعاً: تعبير يسوع عن نفسه قبل موته وقيامته وقبل ظهوره آخر الزمان بــ «ابن الإنسان».

«وكان التلاميذ مجتمعين في الجليل، فقال لهم يسوع: سَيُسلَّم ابن الانسان إلى أيدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم من بين الأموات ، فحــزن التلاميــذ كثيــراً» . متى ١٧ــ ٢٢ــ ٢٣ــ

«وبدأ يُعَلّمُهُم أنَّ ابن الانسان يجب أن يتألم كثيراً وأن يرفضه الشيوخ ورؤساء الكهنة ومعلّمو الشريعة وأن يموت

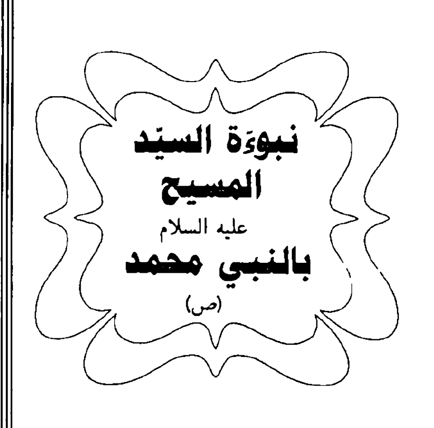
قتلاً وأن يقوم بعد ثلاثة أيام». مرقس ٨ و٩: ـ ٣١ـ

«الحقَّ الحقَّ أَقول لكم: إن كنتم لا تأكلون جسد ابن الإنسان ولا تشربون معه فلن تكون فيكم الحياة» يوحنا: ٦ و٧: ـ ٥٣ـ

فما ذهب إليه المؤلف غير صحيح وفي غاية البعد. والأجدر بالسيّد المسيح أن يُبَشّر بظهور نبي من بعده لا بظهور وصي مصلح عجل الله تعالى فرجه، لأنَّ النبي «محمد» صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، كان هو النبي المبشَّرُ به في الإنجيل، فكان الإنجيل بشارته بنصّ القرآن: «الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِيْ يَجِدُوْنَه مَكْتُوْبَاً عِنْدَهُمْ فِيْ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ».

أما كونه بشارة بالإمام المهدي «عج» أيضاً، فهذا يحتاج إلى دليلٍ من القرآن يُشير إليه على الأقل، كما أشار إلى بشارة الإنجيل بالنبي الكريم، خصوصاً وأن المسألة على مستوى يوم خلاصي عظيم فلا بد وأن يكون جديراً بالإهتمام من ربّ العالمين، كما كانتْ مسألة ظهور النبي «محمد» صلّى اللّه عليه وآله وسلّم مسألة ضرورية وهائمة تستحق ذلك بياناً وعلماً وإظهاراً للحق.

الفصل التاسع



نبوءة السيّد المسيح
عليه السلام
بالنبي محمد
(ص)

يرى البعض أنّ السيّد المسيح عليه السلام تنبّأ بظهور النبي «محمد» صلّى الله عليه وآله وسلّم من خلال أحد نصوص إنجيل «يوحنا»، مستدلاً بهذا النص:

«عندي كلام كثير أقوله لكم بعد، ولكنكم لا تقدرون الآن أن تحتملوه. فمتى جاء روح الحق أرشدكم إلى الحق كله، لأنَّه لا يتكلم بشيء من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما سيحدث». يوحنا ١٦: ١٢ــ ١٣ــ

«بعده بخمسة قرون، روح الحق ظهر بشخص النبي «محمد»، لينشر الحق كله إلى البشرية»[1].

إلا أنَّ هذا الاستدلال يبدو بعيداً، لأنَّ أولاً: سياق النص لا يساعد على ذلك، إذ سياقُهُ يقول على لسان يسوع لتلامذته: «وسأطلب من الآب أن يعطيكم معزّياً آخر يبقى معكم إلى الأبد، هو روح الحق الذي لا يقدر العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، أما أنتم فتعرفونه، لأنه يقيم معكم

(١) الإسلام والمسيحية ــ ص ــ ١٣٣ ــ ألفات عزيز ــ تعريب بسام مرتضى.

ويكون فيكم... قلت لكم هذا كله وأنا معكم، ولكنَّ المعزّي، وهو الروح القدس الذي يرسله الآب باسمي، سيعلّمكم كلَّ شيء ويجعلكم تتذكرون كلَّ ما قلته لكم... صدّقوني من الخير لكم أن أذهب فإن كنت لا أذهب لا يجيئكم المعزّي، أما إذا ذهبت فأرسله إليكم، ومتى جاء وبَّخ العالم على الخطيئة والبرّ والدينونة... عندي كلامٌ كثيرٌ أقوله لكم بعد، ولكنكم لا تقدرون الآن أن تحتملوه، فمتى جاء روح الحق أرشدكم إلى الحق كله لأنه لا يتكلم بشيء من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويُخبركم بما سيحدث، سَيُمَجّدني لأنه يأخذ كلامي ويقوله لكم، وكل ما للآب هو لي، لذلك قلت لكم: يأخذ كلامي ويقوله لكم..». يوحنا ١٤ و١٥ و١٦: ١٦ــ ٢٥ــ ١٢ــ ١٣.

ثانياً: إنَّ النبي «محمد»، حسب النص، لم يرسله الله (الآب) باسم يسوع، بل أرسله باسمه، باسم الحق، ولم يرسله يسوع بل أرسله ربُّ العالمين، ولم يُرسَل لتمجيد يسوع وَأَخْذِ كلامه ونشر رسالته، بل لتمجيد اللّه وهداية البشر وتطهيرهم من دَنَس الشرك والخطيئة. وهذا واضح من أدنى تتبع للنصّ. وهل يمكن ألاّ يراه العالم ولا يعرفه وإن لم يقبله كما عبّر أول النص؟

فالمراد من روح الحق هو الروح القدس الذي يدّعي تلامذته أنّه عليه السلام أخبرهم بأنه سيقيم معهم ويكون فيهم وسيظهر عليهم بعد ذهابه من العالم. فما رآه البعض غير صحيح.

نعم. وردت في إنجيل «برنابا»، الإنجيل الغير معترف به من قِبَل المسيحيين والكنائس في العالم أجمع، تصريحات واضحة على لسان يسوع، وفي أكثر من موضع، وبالاسم أيضاً، بظهور النبيّ «محمد» صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بعده عليه السلام.

من هذه التنبؤات والتصريحات نذكر هذا النص:

«أجاب يسوع: «إنَّ اسم مَسَيّاً عجيب لأن اللّه نفسه سمّاه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي. قال اللّه: اصبر يا «محمد» لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجمًّاً غفيراً من الخلائق التي أهبها لك حتى أنَّ مَن يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً، ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى إن السماء والأرض تَهنان ولكن إيمانك لا يهن أبداً، إن اسمه المبارك «محمد».

حينئذٍ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا اللّه أرسل لنا رسولك، يا «محمد» تعال سريعاً لخلاص العالم»[1].

والحمد لله أولاً وآخراً

(١) إنجيل «برنابا». ترجمة الدكتور خليل سعادة ــ ص ــ ١٤٩ ــ

الفهرست

العنوان	الصفحة



لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب محطة دياب - بناية المهنية اللبنانية.
ص.ب ٢٥/٢٤٠ الغبيري - تلفون: ٨٢٥٣١٦ فاكس: ٠٠١٢١٢٤٧٨١٨٢٧